محمد فتحي النادي

رسائل في المذهب الأشعري

- شكاية أهل السُّنة
- رسالة الحافظ البيهقي
- زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري
- تقريظ زجر المفتري
- نونية تاج الدين السبكي في العقيدة

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية عابدين القاهرة
ت ٢٣٩١٧٤٧٠ فاكس ٢٣٩٠٣٧٤٦

obeikandl.com

اسم الكتاب : رسائل في المذهب الأشعري
(شكاية أهل السنة - رسالة الحافظ البيهقي - زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري - تقريظ زجر المفتري - نونية تاج الدين السبكي في العقيدة)

تحقيق : محمد فتحي النادي

الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة

٨٨ صفحة ١٧ × ٢٤ سم

رقم الإيداع : ٥٨٦٥ / ٢٠١٠

الترقيم الدولي : I.S.B.N.

977-17-8612-1

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر) . غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أى جزء منه . أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية ، أو ميكانيكية ، أو نقله بأى وسيلة أخرى ، أو تصويره ، أو تسجيله على أي نحو ، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر .

All rights reserved to Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher .

دار الكتب والوثائق القومية

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

النادي ، محمد فتحي

رسائل في المذهب الأشعري/محمد فتحي النادي .

- القاهرة : مكتبة وهبة ، ٢٠١٠

٨٨ صفحة ؛ ٢٤ سم

تدمك ١ ٨٦١٢ ١٧ ٩٧٧

١ - الفقه الإسلامى - مذاهب

أ - العنوان

٢٥٨

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان فعدله ، ووهبه العقل وفضله ، واصطفاه على سائر المخلوقات وكرمه ، وأرسل إليه الرسل فعرّفوه أرشد طريق وأقومه .

وأصلي وأسلم على من كان نبيًّا وآدم منجدل في طينته ، ثم السلام على آل بيته الذين بلغوا ذرى المجد وعالي درجته ، ثم الصحابة خير خلق الله بعد أنبيائه وصفوته ، ثم التابعين وتابعيهم بإحسان الذين اقتفوا أثر نبيهم واقتدوا بسنته .

وبعد ؛

فإنه أثناء القراءة في كتاب « طبقات الشافعية الكبرى» للقاضي تاج الدين السبكي هالني ما رأيت من القضايا الكلامية والصوفية التي تناولها المصنف بالعرض والتحليل ؛ حيث إنه من المفترض أن يكون هذا الكتاب مجرد كتاب يحوي تراجم رجال المذهب الشافعي على اختلاف طبقاتهم فحسب .

ولقد جاءت هذه القضايا متناثرة في الكتاب نتيجة كلامه على بعض الآراء لمن يترجم له ، ويمكن اعتبار هذه الآراء كأنها استطرادات على هامش الكتاب ، ولكن تاج الدين السبكي يوضح لنا أن هذه الآراء ليست استطرادات لا قيمة لها ، ولكنه كان يأخذ هذا في الاعتبار فقال في مقدمة كتابه : « وقد جاء بحمد الله مجموعًا آخذًا من كل فن بنصيب ، نافذًا في كل غرض بسهمه المصيب ، وهذا المظهر أجلب للمطالعة ، وأخلب للألباب التي أمست من الملل وهي ظالعة .

ومن نظر كتابي هذا علم كيف كان البدر يغيب وأنا شاهد ، وتيقن أنه وظيفة عمر رجل ناقد ؛ فلقد اشتمل على بحر زاخر من غرائب المسائل ، وقدر وافر من عجائب الأقوال والأوجه والدلائل ، وغيث هامع من العلم تتقاصر عنه الأنوا ، وغدير جامع تلقى عنده الدلا »[1] .

وقد قال عنه صاحب « أبجد العلوم »: « علم طبقات الشافعية صنف فيها ابن السبكي الكبرى والصغرى ، وأطنب فيها وأجمع وأوعب كل من انتسب إلى مذهب الشافعية ، وقد اشتمل على فوائد لا تكاد توجد في كتاب »[2] .

وكتاب « طبقات الشافعية » كتاب مهم جدًّا ، فهو ليس ـ كما ذكرنا ـ مجرد كتاب للتأريخ للمذهب الشافعي ولرجاله ، ولكنه كتاب يؤرخ أيضًا للمذهب الأشعري منذ ظهوره على يد أبي الحسن الأشعري إلى عصر التاج السبكي ؛ لأن معظم كبار الأشاعرة كانوا شافعية الفروع ، ابتداء من أبي الحسن مروراً بالجويني ، والغزالي والرازي وغيرهم .

والتاج السبكي أثناء ترجمته للأشاعرة كان يذكر آراءهم ويدافع عنها ، ويرد سهام الكيد عن رجال الأشاعرة ، ويثبت أنهم أهل السنة ، وأن آراءهم هي آراء السلف لم يشذوا عنها .

فدفعني هذا إلى انتقاء مجموعة من الرسائل التي تدور حول المذهب الأشعري من كتاب « طبقات الشافعية الكبرى » ، إلى جانب رسالة أخذتها من كتاب « تبيين كذب المفتري » للحافظ ابن عساكر ، وقد رأيت أن أخرجها مفردة ، وأن ألبسها

---

(١) تاج الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق: مصطفى عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م ، (١/١٥٤) .

(٢) صديق بن حسن القنوجي : أبجد العلوم ، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، تحقيق: عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨م ، (٢/٣٦٣) .

ثوبًا قشيبًا ، وأن أسلط الضوء عليها ؛ حيث لمست أهميتها في الكشف عن جوانب مهمة من التاريخ الأشعري .

وتعرض بعض هذه الرسائل للفتن التي تعرّض لها هذا المذهب على يد من تعصبوا عليه ، وكيف أنهم لم يتحملوا آراء مؤسس هذا المذهب أو آراء أتباعه ، ولم يناقشوا تلك الآراء في تأنٍ وروية ؛ لاستجلاء الأمور ووضعها في نصابها ، ولكنهم استخدموا سيف السلطان في قمع الأفكار وأصحابها ، وهذه آفة من لا يملك الحجة ، وقصر علمه على قشور العلم دون الغوص إلى لبابه ، إلى جانب التعصب للرأي حتى وإن كان باطلاً .

وهذه الأمور تظهر جلية في الرسائل الأربعة الأول التي تناولت الطعن على أبي الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ ورميه بالابتداع ، وإطلاق اللعن عليه على أعواد المنابر ؛ مما دفع العلماء للوقوف في وجه تلك الفتن التي جعلت المسلمين أحزابًا وشيعًا يلعن بعضهم بعضًا ، ويقتل بعضهم بعضًا ، وهذا داء فتاك أصاب الأمة الإسلامية في مقتل ، بل ومزّق وحدة نسيجها الداخلي .

ومما زاد الطين بلة إقحام العوام في مسائل تصعب على مداركهم ، وكان الأولى أن تكون تلك المسائل حبيسة قاعات العلم وجلسات الخواص ؛ لأن دخول العوام فيها وتحزبهم لها أو عليها وانقسامهم جعلهم وقودًا للفتن .

وقد أتت الرسالة الأخيرة على غير هذا النسق ؛ حيث كانت منظومة للتاج السبكي أتى فيها على كثير من مسائل المذهب الأشعري .

وقد رتبت هذه الرسائل ترتيبًا تاريخيًا من الأقدم للأحدث .

ومما دفعني إلى إخراج هذه الرسائل أنني كنت في جلسة علمية للأستاذ العالم الجليل حسن الشافعي في الجامع الأزهر في رواق المغاربة في درسه الأسبوعي وسألته عن رسالة «زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري» فلم يعرفها ، وهو من هو في علم الكلام ، فحثني على إخراجها . هذه واحدة .

والثانية أنني وجدت أن كافية الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في العقيدة من الشهرة بمكان ، ووجدت أن منظومة السبكي غير معلومة للباحثين ، فدفعني هذا لإخراجها دون التعليق على ما فيها من مسائل أو آراء ، وكذا الحال في جميع الرسائل ، وتركت هذا الجهد لوقت آخر ، أو لأحد الباحثين الذين يجردون أقلامهم لشرح هذه المنظومة ، والوقوف على ما فيها من آراء عقدية .

هذا ما حداني لإخراج تلك الرسائل في هذه الصورة ، داعيًا المولى ـ جل وعلا ـ أن يجعل ذلك في ميزان حسناتي ، إنه مولى ذلك والقادر عليه .

ليلة الثلاثاء ٢٦ ذو القعدة ١٤٢٩هـ

الموافق ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٨م

محمد فتحي النادي

الجيزة

Mf_elnady@hotmail . com

obeikandl.com

الرسالة الأولى

رسالة القشيري إلى البلاد المسماة شكاية أهل السُّنة بحكاية ما نالهم من المحنة [1]

أخبرنا القاضي الرئيس أبو المعالي يحيى بن فضل الله[2] في كتابه ، عن مكي

---

(١) قال السبكي : « وقد جالت هذه الرسالة في البلاد ، وانزعجت نفوس أهل العلم منها ، وقام كل منهم بحسب قوته ، ودخلت بيهق فوقف عليها الحافظ البيهقي ولبى دعوتها ، وكتب الرسالة إلى العميد التي انفصلنا الآن عنها [ستأتي لاحقًا] ، ثم دخلت بغداد فكتب الشيخ أبو إسحاق الشيرازي من الشافعية ، والقاضي الدامغاني من الحنفية وغيرهما من الفريقين ما أدت القدرة إليه .

وقد أورد الحافظ بعض هذه الرسالة في كتابه ، ونحن نرى أن نوردها كلها ؛ فإنه يخشى على مثلها الضياع إذا تمادى الزمان ، فإن هذا شأن المصنفات اللطاف ، لا سيما ما يغيظ أهل الباطل ؛ فإنهم يبادرون إلى إعمال الحيلة في إعدامه ، لقد كان عند الشيخ الإمام [يقصد والده تقي الدين السبكي] نسخة من كتاب : « تبيين كذب المفتري» لا يحسن الرائي أن يقرأ منها حرفًا ؛ لما هو مكتوب في حواشيها وبين أسطرها من أمور لا تتعلق بالكتاب بخط بعض فضلاء الحنابلة الذين يلمزون ببعض الأشاعرة ، فسألت الشيخ الإمام فقال : هذه النسخة شريتها من تركة الحافظ سعد الدين الحارثي ، وكأنهم كانوا يريدون إعدامها ، ولكن كتاب التبيين كثير العدد في الوجود لا يستطيع الخصم أن يحصره ويعدمه ، والله ـ تعالى ـ يتولى ـ إن شاء الله ـ حمايته ورعايته .

فإن قلت : فإذا كان الحال على ما وصفت فلم لا شرحت لنا رسالة البيهقي كلها؟

قلت : لأن الحافظ استوفاها ، فكأنه أحال علينا في رسالة القشيري ، ونحن نحيل عليه في رسالة البيهقي» .

(٢) محيي الدين أبو المعالي يحيى بن فضل الله العمري العدوي [٦٥٤-٧٣٨هـ] : ولد بالكرك في شوال سنة ٦٥٤هـ ، وحدّث بشيء كثير بالإجازة ، وكان يكتب خطًا حسنًا إلى الغاية ، وتقلب في وظائف الدولة في دمشق والقاهرة ، قال ابن حجر : كان سعيد الحركات ، ورأى من السعادة في أولاده وأملاكه ووظائفه وطول عمره ما لم يشاركه فيه أحد ، وكان قليل الأذى كثير الانجماع عن الناس ، وقال الذهبي : كان صدرًا معظمًا وقورًا ، كامل العقل ، حسن الصيانة ، تاركًا لمعاشرة الناس ، خبيرًا بوظيفته ، بديع الكتابة ، جزل العبارة ، كثير الأنوار ، وكان لا يكاد يتكلم إلا جوابًا ، وله نظر جيد ، وكانت وفاته في ثامن شهر رمضان سنة ٧٣٨ ، ودفن بالقرافة ، ثم نقل تابوته إلى دمشق ودفن بالصالحية بعد موته بأشهر . [انظر : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن محمد بن علي بن أحمد : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق : د . محمد عبد المعيد خان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م ، (٦/١٩٣-١٩٤)] .

ابن علان[1] ، أن الحافظ أبا القاسم بن عساكر[2] أتاه قال : أخبرنا فقيه الحرم أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي[3] قال : أخبرنا الأستاذ زين الإسلام

---

(١) «ابن علان : الشيخ الجليل العدل المعمر سديد الدين أبو محمد مكي بن المسلم بن مكي ابن خلف بن المسلم بن أحمد بن محمد بن حصن بن صقر بن عبد الواحد بن علي بن علان القيسي العلاني الدمشقي المسكي الطيبي ، ولد في رجب سنة ثلاث وستين ، وسمع من الحافظ ابن عساكر ، وأبي الفهم بن أبي العجائز ، وعلي بن خلدون ، وتفرد بهم ، ومن المجد بن البانياسي ، وأجاز له أبو طاهر السلفي ، ومحمد بن علي الرحبي ، وروى الكثير ، وطال عمره ، وبعد صيته ، وكان شيخًا معتبرًا متوددًا ، وافر الحرمة ، من بيت تقدم ورواية ، ورواياته صحيحة ، وقد سمع أخواه أسعد ومحمد من ابن عساكر أيضًا ، حدث عنه الدمياطي ، وابن الظاهري ، وزين الدين الفارقي ، والعماد بن البالسي ، وأخوه عبدالله ، وطلحة القرشي ، ومحيي الدين يحيى ابن المقدسي ، والقاضي شرف الدين بن الحافظ ، وإسماعيل وعبد الله ابنا أبي النائب ، وأمين الدين سالم بن صصرى ، وأخته أسماء ، وتاج الدين أحمد بن مزيز ، وخلق ، توفي بدمشق في العشرين من صفر سنة اثنتين وخمسين وستمائة ، رحمه الله ، وأجاز لجميع من أدرك حياته من المسلمين» [محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله : سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة التاسعة ، ١٤١٣هـ ، (٢٣/٢٨٦-٢٨٧)] .

(٢) «ابن عساكر [٤٩٩-٥٧١هـ = ١١٠٥-١١٧٦م] : علي بن الحسن بن هبة الله ، أبو القاسم ، ثقة الدين بن عساكر الدمشقي : المؤرخ الحافظ الرحالة ، كان محدث الديار الشامية ، ورفيق السمعاني (صاحب الأنساب) في رحلاته ، مولده ووفاته في دمشق ، له : «تاريخ دمشق الكبير» يعرف بتاريخ ابن عساكر ، اختصره الشيخ عبد القادر بدران ، بحذف الأسانيد والمكررات وسمى المختصر : «تهذيب تاريخ ابن عساكر» ، ولابن عساكر كتب أخرى كثيرة ، منها : «الإشراف على معرفة الأطراف» في الحديث ، و«تبيين كذب المفتري في ما نسب إلى أبي الحسن الأشعري» ، و«كشف المغطى في فضل الموطا» ، و«تبيين الامتنان في الأمر بالاختتان» . . . » [خير الدين الزركلي : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، أيار (مايو) ١٩٨٠م ، (٤/٢٧٣-٢٧٤) باختصار] .

(٣) «الفراوي [٤٤١-٥٣٠هـ = ١٠٥٠-١١٣٦م] : محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد ، أبو عبد الله الصاعدي الفراوي : عالم بالحديث والفقه ، شافعي ، مولده ووفاته في نيسابور ، كان يعرف بـ«فقيه الحرم»، لإقامته مدة في الحرمين ، له تصانيف ، منها : (مجالس) أملاها في الوعظ ، أكثر من ألف مجلس ، و(أربعون حديثًا ـ خ) وكتاب في (الفقه) ، نسبته إلى (فراوة) بليدة قرب خوارزم انتقل أبوه منها إلى نيسابور» [السابق ، (٦/٣٣٠)] .

أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري[1] سماعًا عليه في سنة ست وأربعين وأربعمائة قال :

الحمد لله المجمل في بلائه ، المجزل في عطائه ، العدل في قضائه ، المكرم لأوليائه ، المنتقم من أعدائه ، الناصر لدينه بإيضاح الحق وتبيينه ، المبيد للإفك وأهله ، المجتث للباطل من أصله ، فاضح البدع بلسان العلماء ، وكاشف الشُّبه ببيان الحكماء ، وممهل الغواة ـ حينًا ـ غير مهملهم ، ومجازي كلٍّ غدًا على مقتضى عملهم .

نحمده على ما عرفنا من توحيده ، ونستوفقه على أداء ما كلفنا من رعاية حدوده ، ونستعصمه من الخطأ والخطل والزيغ والزلل في القول والعمل .

ونسأله أن يصلي على سيدنا محمد المصطفى ، وعلى آله مصابيح الدجى ، وأصحابه أئمة الورى .

هذه قصة سميناها : « **شكاية أهل السُّنة بحكاية ما نالهم من المحنة** » تخبر عن بشة مكروب ، ونفثة مغلوب ، وشرح مُلِمٍّ مؤلم ، وذكر مهم موهم ، وبيان خطب قادح ، وشر سانح ، للقلوب جارح ، رفعها عبد الكريم بن هوازن القشيري ـ رحمه الله ـ إلى العلماء الأعلام لجميع بلاد الإسلام .

أما بعد . . .

فإن الله ـ تعالى ـ إذا أراد أمرًا قدّره ، فمن ذا الذي أمسك ما سيره ، أو قدَّم ما أخره ، أو عارض حكمه فغيره ، أو غلبه على أمر فقهره ، كلا بل هو الله الواحد القهار الماجد الجبار .

---

(١) « القشيري [٣٧٦-٤٦٥هـ = ٩٨٦-١٠٧٢م] : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري ، من بني قشير بن كعب ، أبو القاسم ، زين الإسلام : شيخ خراسان في عصره زهدًا وعلمًا بالدين ، كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها ، وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه ، من كتبه : (التيسير في التفسير ـ خ) ويقال له : (التفسير الكبير) ، و(لطائف الإشارات) في التفسير أيضًا ، و(الرسالة القشيرية) » [السابق ، (٤/٥٧) باختصار] .

ومما ظهر ببلاد نيسابور[1] من قضايا التقدير في مفتتح سنة خمس وأربعين وأربعمائة من الهجرة ما دعا أهل الدين إلى شق صدور صبرهم ، وكشف قناع ضيرهم ، بل ظلت الملة الحنيفية تشكو غليلها[2]، وتبدي عويلها ، وتنصب عزالي[3] رحمة الله على من يستمع شكوها ، وتصغي ملائكة السماء حتى تندب شجوها .

ذلك مما أحدث من لعن إمام الدين ، وسراج ذوي اليقين ، محيي السنة ، وقامع البدعة ، وناصر الحق ، وناصح الخلق ، الزكي الرضي أبي الحسن الأشعري ـ قدَّس الله روحه ، وسقى بالرحمة ضريحه ـ وهو الذي ذبَّ عن الدين بأوضح حجج ، وسلك في قمع المعتزلة[4] وسائر أنواع المبتدعة أبين منهج ، واستنفد عمره في النضح[5] عن الحق ، فأورث المسلمين بعد وفاته كتبه الشاهدة بالصدق .

ولقد سمعت الأستاذ الشهيد أبا علي الحسن بن علي الدقاق[6] ـ رحمة الله عليه ـ

---

(١) نَيسَابُورُ : تقع الآن في إيران ، على بعد (٥٠) ميلاً غربي مدينة «مشهد» في أقصى الشمال الشرقي من إيران على الطريق الرئيسة التي تصل طهران بمشهد ، وعدد سكانها يناهز المائة ألف نسمة ، وتسمى الآن «نيشابور» [www.uaegoal.com] .

(٢) الغَليل : «شدة العطش وحرارته» [مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، الطبعة الثالثة ، د . ت ، (٦٨٤/٢)] .

(٣) عَزالِي وعَزالَى : جمع العَزْلاَء ، وهي : «مصب الماء من القربة ونحوها ، ويقال : أرسلت السماء عزاليها : انهمرت بالمطر ، وأرخت الدنيا عزاليها : كثر نعيمها» [السابق ، (٦٢١/٢)] .

(٤) لنا بحث تناولنا فيه المعتزلة وآراءها وأهم رجالها ، وهو لم ينشر بعد .

(٥) «نَضَحَ الرجلُ عن نفسه : إذا دفع عنها بحُجَّة . وهو يَنْضَح عن فلان ، أي : يَذُبُّ عنه ويدفع» [لسان العرب ، مادة (نضح)] .

(٦) أبو علي الدقاق [. . .-٤٠٥هـ = . . .-١٠١٥م] : الحسن بن علي بن محمد الأستاذ أبو علي الدقاق النيسابوري ، صوفي ، فقيه ، أصولي ، شيخ الصوفية ، وشيخ أبي القاسم القشيري صاحب الرسالة ، تفقه بمرو عند الخصري ، وأعاد عند القفال ، وبرع في الفقه ، ثم سلك طريق الصوفية ، وصحب الأستاذ أبا القاسم النصرآباذي ، وأخذ الطريقة عنه وزاد عليه حالاً ومقالاً ، واشتهر ذكره في الآفاق ، وانتفع به الخلق ، ومن آثاره : كتاب الضحايا ، توفي في ذي الحجة سنة خمس وأربعمائة . [انظر : أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، تحقيق : د . الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ ، (١٧٨/٢) ، وإسماعيل باشا : هداية العارفين ، (١٤٦/١)، وعمر كحالة : معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى ، بيروت ، (٢٦١/٣)] .

يقول : سمعت أبا علي زاهر[1] بن أحمد الفقيه[2] ـ رحمة الله عليه ـ يقول : مات أبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ ورأسه في حجري ، وكان يقول شيئًا[3] في حال نزعه من داخل حلقه ، فأدنيت إليه رأسي وأصغيت إلى ما كان يقرع سمعي ، فكان[4] يقول : لعن الله المعتزلة موهوا[5] ومخرقوا .

وإنما كان أبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ يتكلم في أصول الدين على جهة الرد على أهل الزيغ والبدع تأديًا بما أوجب الله ـ سبحانه ـ على العلماء من النضح عن الدين ، وكشف تمويه الملحدين والمبتدعين بما زالوا عن النهج المستقيم .

ولقد سمعت الأستاذ أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن عبيد الله الشيرازي الصوفي[6] ـ رحمه الله ـ يقول : سمعت بعض أصحاب أبي عبد الله بن خفيف

---

(١) في الأصل : « زاهد » .

(٢) أبو علي السرخسي [٢٩٤-٣٨٩هـ = ٩٠٦-٩٩٨م] : زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى أبو علي السرخسي ، الفقيه الشافعي المحدث ، أحد الأئمة ، ولد سنة أربع وتسعين ومائتين ، شيخ عصره بخراسان ، قرأ على أبي بكر بن مجاهد ، وتفقه عند أبي إسحاق المروزي ، ودرس الأدب على أبي بكر بن الأنباري ، وروى عنه الحاكم وإسماعيل الصابوني ومحمد بن أحمد بن محمد ابن جعفر المزكي وجماعة ، وأخذ عن أبي الحسن الأشعري علم الكلام ، توفي بـ« مرو » في ربيع الآخر ، سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وله ست وتسعون سنة . [انظر : الصفدي : الوافي بالوفيات ، (٤٦٩/٤) ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ، (٤٧٦/١٦) ، وطبقات الشافعية ، (١٥٧/٢-١٥٨)] .

(٣) في الأصل : « متنا » ، والتصويب من « تبيين كذب المفتري » ، ص(١١٩) .

(٤) في الأصل : « وكان » ، والتصويب من « تبيين كذب المفتري » ، ص(١١٩) .

(٥) « مَوَّهَ الشيءَ : طَلاه بذهبٍ أو بفضةٍ وما تحت ذلك شَبَهٌ أو نُحاسٌ أو حديدٌ ، ومنه التَّمْويهُ وهو التلبيس ، ومنه قيل للمُخادِع : مُمَوِّه . وقد مَوَّهَ فلانٌ باطِلَه إذا زَيَّنه وأَراه في صورةِ الحقّ » [لسان العرب ، مادة (موه)] .

(٦) أبو عبد الله بن باكويه [٣٤٠-٤٢٨هـ = ٩٥١-١٠٣٧م] : محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن أحمد الشيرازي ، الإمام الصالح المحدث ، شيخ الصوفية ، من كبار المشايخ في عصره ، من أهل شيراز ، عني بالحديث ، ورحل في سبيل ذلك إلى جرجان وبغداد والبصرة وأصبهان ودمشق وهراة وبلخ وبخارى والكوفة ، وسمع محمد بن خفيف الزاهد ، ومحمد بن ناصح الكرجي ، وخلق كثير ، ولقي ببخارى أبا بكر محمد بن القاسم الفارسي ، وحدث عنه : أبو القاسم القشيري « صاحب الرسالة » ، وعبد الواحد ولد القشيري ، وأبو بكر بن خلف الشيرازي ، وآخرون ، وصنَّف كتبًا منها : « بداية الحلاج ونهايته » ، و« أخبار العارفين » ، توفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . [انظر : الوافي بالوفيات ، (٤٢٨/١) ، وسير أعلام النبلاء ، (٥٤٤/١٧) ، والزركلي : الأعلام ، (٢٢٧/٦)] .

الشيرازي[1] ـ رحمة الله عليهم ـ يقول : سمعت أبا عبد الله بن خفيف ـ رحمه الله ـ يقول : دخلت البصرة في أيام شبابي لأرى أبا الحسن الأشعري ـ رحمة الله عليه ـ لما بلغني خبره ، فرأيت شيخًا بهي المنظر ، فقلت له : أين منزل أبي الحسن الأشعري؟ فقال : وما الذي تريد منه؟ فقلت : أحب أن ألقاه . فقال : ابتكر غدًا إلى هذا الموضع . قال : فابتكرت ، فلما رأيته تبعته فدخل دار بعض وجوه البلد ، فلما أبصروه أكرموا محله ، وكان هناك جمع من العلماء ومجلس نظر فأقعدوه في الصدر ، فلما شرع في الكلام دخل هذا الشيخ فأخذ يرد عليه ويناظره حتى أفحمه ، فقضيت العجب من علمه وفصاحته فقلت لبعض من كان عندي : من هذا الشيخ؟ فقال : أبو الحسن الأشعري . فلما قاموا تبعته فالتفت إليّ وقال : يا فتى ، كيف رأيت الأشعري؟ فخدمته وقلت : يا سيدي كما هو في محله ، ولكن مسألة قال : قل : يا بني . فقلت : مثلك في فضلك وعلو منزلتك كيف لم تسأل ويسأل غيرك؟ فقال : أنا لا أتكلم مع هؤلاء ابتداء ، ولكن إذا خاضوا في ذكر ما لا يجوز في دين الله رددنا عليهم بحكم ما فرض الله علينا من الرد على مخالفي الحق .

وعلى هذه الجملة سيرة السلف أصحاب الحديث المتكلمين منهم في الرد على المخالفين وأهل الشبه والزيغ ، ولما منَّ الله الكريم على أهل الإسلام ببركات السلطان المعظم ، المحكم بالقوة السماوية في رقاب الأمم ، الملك الأجل شاهنشاه ، يمين خليفة الله ، وغياث عباد الله طغرلبك أبي طالب محمد بن ميكائيل[2] ـ

---

(١) «ابن خفيف [٢٧٦-٣٧١هـ = ٨٩٠-٩٨٢م] : محمد بن خفيف ، أبو عبد الله الشيرازي : صوفي ، شافعي . كان شيخ إقليم فارس . وهو من أولاد الأمراء تزهد وسافر في سياحات كثيرة ، وصنف كتبًا ، من كلامه : (ليس شيء أضر بالمريد من مسامحة النفس في ركوب الرخص) ، ولما أدركته الوفاة قيل له : قل : لا إله إلا الله . فحول وجهه إلى الجدار وقال : أفنيت كلي بكلك» [الأعلام ، (٦/١١٤)] .

(٢) «طغرلبك [٣٨٥-٤٥٥هـ = ٩٩٥-١٠٦٣م] : محمد بن ميكائيل بن سلجوق ، أبو طالب ، الملقب ركن الدين طغرلبك ، أول ملوك الدولة السلجوقية ، كانوا قبل تملكهم يسكنون وراء النهر ، قريبًا من بخارى ، ولا يدينون لأحد من الملوك ، فإذا قصدهم من لا يطيقونه دخلوا المفاوز ، وهم أتراك ، ولهم مع ولاة خراسان وقائع ، وأول من ملك منهم أبو طالب هذا في سنة ٤٢٩هـ ، وكان حليمًا ضابطًا لما يتولاه دينا ، وهو الذي ردَّ ملك بني العباس ، بعد أن كان اضمحل وزالت دعوتهم من العراق ، وخطب لبني عبيد (الفاطميين) لما استولى البساسيري =

أطال الله عمره موفقًا معصومًا بقاه ، وأدام بالتسديد نعماه ، وقام بإحياء السنة ، والمناضلة عن الملة ، حتى لم يبق من أصناف المبتدعة حزبًا إلا سلَّ لاستئصالهم سيفًا عضبًا[1] ، وأذاقهم ذلاً وخسفًا ، وعقب لآثارهم نسفًا ، حرجت[2] صدور أهل الزيغ عن تحمل هذه النقم ، وضاق صدرهم عن مقاساة هذا الألم ، ومُنُوا بلعن أنفسهم على رءوس الأشهاد بألسنتهم ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت بانفرادهم بالوقوع في مهواة محنتهم ، فسولت لهم أنفسهم أمرًا ، وظنوا أنهم بنوع تلبيس وضرب تدليس يجدون لعسرهم يسرًا ، فسعوا إلى عالي مجلس السلطان المعظم ـ أعز الله نصره ـ بنوع نميمة ، ونسبوا الأشعري إلى مذاهب ذميمة ، وحكوا عنه مقالات لا يوجد في كتبه منها حرف ، ولم ير في المقالات المصنفة للمتكلمين الموافقين والمخالفين من وقت الأوائل إلى زماننا هذا لشيء منها حكاية ولا وصف ، بل كل ذلك تصوير بتزوير ، وبهتان بغير تقرير ، و« **إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ : إِذَا لَمْ تَسْتَحي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ** »[3].

ولما رفعنا إلى المجلس العالي ـ زاده الله إشراقًا ـ هذه الظُّلامة ، وكشفنا قناع هذه الخطة ، وذكرنا أن هذه المقالات لم تُسمع من ألسنة هذه الزمرة ، ولم يوجد شيء في كتبهم من هذه الجملة ، ولا حُكي في الكتب المصنفة في مقالات المتكلمين حرف من هذه الأقاويل .

==على بغداد ، فما زال يعمل حتى أعاد الخليفة (القائم بأمر الله) من الحديثة إلى بغداد ، وأرجع الخطبة باسمه ، وقتل البساسيري ، وأزال ملك (بني بويه) من العراق وغيره ، وخطب ابنة القائم بأمر الله ، فزوجه بها ، وكان العقد بتبريز وزفت إليه ببغداد ، فمكثت معه ستة أشهر ، كان مريضًا فيها ، وتوفي بالري ، ومدة ملكه ٢٥ أو ٣٠ سنة » [الأعلام ، (١٢٠/٧-١٢١)] ، « وحمل إلى مرو ، فدفن عند أخيه ، وقيل : بل دفن بالري ، وصار ملكه من بعده إلى ابن أخيه السلطان ألب أرسلان ، ولم يرزق طغرلبك ولدًا » [سير أعلام النبلاء ، (١١١/١٨)] .

(١) « السَّيفُ العَضْبُ : السَّيفُ القاطعُ ، عَضَبَهُ يَعْضِبُهُ عَضْبًا ، أي : قَطَعَه » [العين ، مادة (عضب)] .

(٢) « حَرِجَ صدره يَحْرَجُ حَرَجًا : ضاق فلم ينشرح لخير ، فهو حَرِجٌ وحَرَجٌ » [لسان العرب ، مادة (حرج)] .

(٣) أخرجه البخاريُّ في « الأَدَبِ » ، باب : « إِذَا لَمْ تَسْتَحي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » ، ح(٦١٢٠) ومواضع أخر .

بل كان الجواب : إنا إنما نوعز بلعن الأشعري الذي قال هذه المقالات على هذه الصفة ، فإن لم يبينوا بها ولم يقل الأشعري شيئًا منها فلا عليك ما نقول ، ولا يلحقكم ضرر مما نصنع .

فقلنا : الأشعري الذي هو ما حكيتم ، وكان بما ذكرتم لم يخلقه الله بعد ، وما محلّ هذا إلا محل من حكى عن أئمة السلف أنهم دانوا بالبدع ، ونسبهم إلى الضلال والخطأ!

فإذا قيل له في ذلك يقول : إنما أقول لفلان الذي قال ما نسبته إليه ، ودان بهذا الذي قلت ومات عليه ، الكيس لا يرضى منه بذلك ، ولا يغضي على ذلك .

ثم أخذنا في سبيل الاستعطاف جريًا في دفع السيئة بالتي هي أحسن فلم تُسمع لنا حجة ، ولم تُقض لنا حاجة ، ولا حيلة لنا في التوسط بيننا على من بعده في مذهب واحد عصره ، فأغضينا على قذى الاحتمال ، واستنمنا[1] إلى معهود الموافقة في أصول الدين بين الفريقين ، فحضرنا مجلسه ولم نشك أنا لا ننصرف إلا وشمل الدين منتظم ، وشعب الوفاق في الأصول ملتئم ، وأن كلنا على قمع المعتزلة وقهر المبتدعة يد واحدة ، وأن ليس بين الفريقين في الأصول خلاف .

فأول ما سألناه بأن قلنا : هل صح عنده عن الأشعري هذه المقالات التي تحكى؟

فقال : لا ، غير أني لا أستجيز الخوض في هذه المسائل الكلامية ، وأمنع الناس عنها وأنهى ، ولا يجوز اللعن عندي على أهل القبلة لشيء منها ، وصرح بأنه ليس يعلم أنه قال هذه المسائل التي تحكى عنه أم لا!

ثم قال في خلال كلامه : إن الأشعري عندي مبتدع ، وإنه في البدعة يزيد على المعتزلة .

فحين سمعنا ذلك تحيرنا ونفينا ، وسمعنا غير ما ظننا ، وشاهدنا ما لو أخبرنا به ما صدقنا ، ورأينا بالعيان ما لو رأيناه في المنام لقلنا : أضغاث أحلام ، فسبحان الله! كيف صرح بأنه لا يعرف مذهب رجل على الحقيقة ، وصح عنده مقالته ، ثم يبدعه من غير تحقق بمقالته؟! ثم انصرفنا .

---

(١) «استنام فلانٌ إلى فلانٍ ، إذا أنس به واطمأنّ إليه» [العين ، مادة (نوم)] .

وما نقموا من الأشعري إلا أنه قال بإثبات القدر لله خيره وشره ونفعه وضره ، وإثبات صفات الجلال لله من : قدرته ، وعلمه ، وإرادته ، وحياته ، وبقائه ، وسمعه ، وبصره ، وكلامه ، ووجهه ، ويده ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأنه ـ تعالى ـ موجود تجوز رؤيته ، وأن إرادته نافذة في مراداته ، وما لا يخفى من مسائل الأصول التي تخالف طريقه طريق المعتزلة والمجسمة فيها ، وإذا لم يكن في مسألة لأهل القبلة غير قول المعتزلة ، وقول الأشعري قول زائد ، فإذا بطل قول الأشعري فهل يتعين بالصحة أقوال المعتزلة؟ وإذا بطل القولان فهل هذا إلا تصريح بأن الحق مع غير أهل القبلة ، وإذا لعن المعتزلة والأشعري في مسألة لا يخرج قول الأمة عن قوليهما فهل هذا إلا لعن جميع أهل القبلة؟!

معاشر المسلمين ، الغياثَ الغياثَ ، سعوا في إبطال الدين ، ورأوا هدم قواعد المسلمين ، وهيهات هيهات ، ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ (التوبة:٣٢)، وقد وعد الله للحق نصره وظهوره ، وللباطل محقه وثبوره[1] ، إلا أن كتب الأشعري في الآفاق مبثوثة ، ومذاهبه عند أهل السنة من الفريقين معروفة مشهورة ، فمن وصفه بالبدعة علم أنه غير محق في دعواه ، وجميع أهل السنة خصمه فيما افتراه .

[الشبهة الأولى][2]

فأما ما حُكي عنه وعن أصحابه أنهم يقولون : إن محمدًا ﷺ ليس بنبي في قبره ، ولا رسول بعد موته ، فبهتان عظيم ، وكذب محض ، لم ينطق منهم أحد ، ولا سُمع في مجلس مناظرة ذلك عنهم ، ولا وجد ذلك في كتاب لهم ، وكيف يصح ذلك وعندهم محمد ﷺ حي في قبره؟ قال الله ـ تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران:١٦٩)، فأخبر

---

(١) «الثُّبُور : هو الهلاك ، وقد ثَبَرَ يَثْبُرُ ثُبُورًا» [لسان العرب ، مادة (ثبر)] .

(٢) عنوان من عندنا .

ـ سبحانه ـ بأن الشهداء أحياء عند ربهم ، والأنبياء أولى بذلك ؛ لتقاصر رتبة الشهيد عن درجة النبوة ، قال الله ـ تعالى : ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (النساء:٦٩)؛ فرتبة الشهداء ثالث درجة النبوة .

ولقد وردت الأخبار الصحيحة والآثار المروية بما تدل الشهادة على هذه الجملة.

فمن ذلك ، ما أخبرنا به أبو سعيد محمد بن إبراهيم بن عبد الله الأديب ، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن حاتم ، حدثنا محمد بن إسحاق ابن الصباح الصاغاني ، حدثنا ابن جعشم ، عن سفيان ، عن عبد الله بن السائب ، عن زاذان[١] ، عن ابن مسعود ، عن النبي ﷺ قال : « **إِنَّ لِلَّه ـ تَعالى ـ مَلائكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ تبلِّغني عَنْ أُمَّتِي السَّلامَ** »[٢]، ولا يُبلّغ السلام إلا ويكون حيًّا .

وأخبرنا إبراهيم بن محمد[٣] الفقيه ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد النسوي ، حدثنا أبو العباس الحسن بن سفيان الشيباني النسوي ، حدثنا هشام ابن خالد ، حدثنا الحسن[٤] بن يحيى ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن يزيد ابن [أبي][٥] مالك ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمُوتُ فَيُقِيم فِي قَبْرِهِ إلا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا حَتَّى تُرَدَّ إِلَيْهِ رُوحُهُ** »[٦].

---

(١) في الأصل : « زادان » ، والتصويب من الروايات المختلفة .

(٢) أخرجه أحمد في « مُسْنَد عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ » ، ح(٣٤٨٤) ، والنسائي في « السَّهْوِ » ، باب : « السَّلامِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ » ، ح(١٢٦٥) ، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على « المسند » : « إسناده صحيح على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله ابن السائب وغير زاذان فهما من رجال مسلم » ، وصححه الألباني في « صحيح سنن النسائي » ، ح(١٢٨٢).

(٣) في الأصل : « أحمد » ، والتصويب من الرسالة ذاتها ؛ حيث ورد الاسم بعد ذلك : « إبراهيم ابن محمد الفقيه ».

(٤) في الأصل : « الحسين » ، والتصويب من الروايات المختلفة .

(٥) ساقطة من الأصل ، والتصويب من الروايات المختلفة .

(٦) أخرجه الطبراني في « مسند الشاميين » ، (٢/٤٢٠) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » ، (٨/٣٣٣) ، وأخرجه ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/٣٠٣) ، وقال : « قال ابن حبان : هذا حديث باطل موضوع ، والحسن بن يحيى منكر الحديث جدًا يروي عن الثقات ما لا أصل له . وقال يحيى : الحسن ليس بشيء . وقال الدارقطني : متروك »، وقال الألباني في « السلسلة الضعيفة »، ح(٢٠١): « موضوع ».

وأخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي ، أخبرنا أبو الحسين هارون بن محمد بن هارون العطار ، حدثنا أبو علي الحسن بن علي بن عيسى السيسري[1]، [حدثنا][2] أبو عبد الرحمن المقرئ ، حدثنا حيوة بن شريح ، عن أبي صخر[3] المدني ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلا رَدَّ اللَّهُ ﷻ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ**»[4].

دلَّ الخبر على أن الميت لا يعلم حتى ترد إليه الروح ، ودلَّ على أن النبي ﷺ حي في قبره .

وأخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو البختري ، حدثنا عيسى بن عبد الله الطيالسي ، حدثنا العلاء ابن عمرو الحنفي ، حدثنا أبو عبد الرحمن ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْد قَبْرِي سَمِعْته ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ نَائِيًا أُبْلِغْتُهُ**»[5].

وأخبرنا إبراهيم بن محمد الفقيه ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد النسوي ، أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا أبو المعتمر وثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : «**أَتَيْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**»[6].

---

(١) في الأصل : «المقري».

(٢) زيادة من عندنا .

(٣) في الأصل : «صخرة» ، والتصويب من الروايات المختلفة .

(٤) أخرجه أحمد في «مُسْنَد أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ» ، ح(١٠٨٢٧) ، وأبو داود في «الْمَنَاسِكِ» ، باب : «زِيَارَةِ الْقُبُورِ» ، ح(١٧٤٥) ، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على «المسند» : «إسناده حسن» ، وكذلك حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» ، ح(٢٠٤١).

(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ، (١٠٣/٤) ، وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» ، (٣٠٣/١) وقال :«هذا حديث لا يصح»، وقد ضعفه الألباني في «مشكاة المصابيح» ، ح(٩٣٤).

(٦) أخرجه مسلمٌ في «الْفَضَائِلِ» ، باب : «مِنْ فَضَائِلِ مُوسَى عليه السلام» ، ح(٤٣٧٩) .

وأخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الكاتب ، حدثنا أحمد بن عبيد[1] الصفّار[2] ، حدثنا تمتام محمد بن غالب[3] ، حدثنا موسى ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « **أتيت وأنا في أهلي فانطلقوا بي إلى زمزم ، وشرح صدري ، ثم غسل بماء زمزم ، ثم أتيت بطست من ذهب ممتلئة إيمانًا وحكمةً[4] فحشي بها[5] صدري** » ـ قال أنس : ورسول الله ﷺ يرينا أثره ـ « **فعرج بي الملك إلى السماء الدنيا فاستفتح الملك قال : من ذا؟ قال : جبريل . قال : ومن معك؟ قال : محمد ﷺ . قال : وقد بعث؟ قال : نعم . قال : ففتح فإذا آدم عليه السلام قال : مرحبًا بك من ولد ، ومرحبًا بك من رسول .**

ثم عرج بي الملك إلى السماء الثانية ، فاستفتح الملك فقال : من ذا ؟ قال : جبريل . قال : ومن معك؟ قال : محمد ﷺ . قال : وقد بعث؟ قال : نعم . قال : ففتح فإذا عيسى ويحيى ـ عليهما السلام ـ فقالا : مرحبًا بك من أخ ، ومرحبًا بك من رسول .

ثم عرج بي الملك إلى السماء الثالثة ، فاستفتح الملك فقال : من ذا؟ قال : جبريل . قال : ومن معك؟ قال : محمد ﷺ . قال : وقد بعث؟ قال : نعم . قال : ففتح فإذا يوسف عليه السلام قال : مرحبًا بك من أخ ، ومرحبًا بك من رسول .

---

(١) في الأصل : « عبد » .

(٢) « أحمد بن عبيد الصفار : المحدث أبو بكر الحمصي الرعيني ، فيروي عن أبي بكر أحمد بن علي المروزي ، ومحمد بن عبيد الكلاعي ، وطبقتهما . حدث عنه : ابن منده ، وأبو العباس بن الحاج ، وعبد الغني بن سعيد الأزدي ، وآخرون . مات في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة » [سير أعلام النبلاء ، (١٥/٤٤١)] .

(٣) تمتام [١٩٣-٢٨٣هـ = ٨٠٨-٨٩٦م] : الإمام ، المحدث ، الحافظ ، المتقن ، أبو جعفر ، محمد ابن غالب بن حرب ، الضبي البصري ، التمار التمتام ، نزيل بغداد . سمع أبا نعيم ، ومسلم بن إبراهيم ، والقعنبي ، وآخرين . وحدث عنه : أبو جعفر بن البختري ، وإسماعيل الصفار ، وعثمان بن السماك ، وخلق كثير . قال الدارقطني : ثقة مأمون ، إلا أنه كان يخطئ ، وقال في موضع آخر : ثقة مجود . مات في شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، وله تسعون عامًا . [السابق ، (١٣/٣٩٠-٣٩٢) بتصرف] .

(٤) في الأصل : « وحكمًا » .

(٥) في الأصل : « به » .

ثم عرج بي الملك إلى السماء الرابعة ، فاستفتح الملك فقال : من ذا؟ قال : جبريل . قال : ومن معك؟ قال : محمد ﷺ . قال : وقد بعث؟ قال : نعم . قال : ففتح فإذا إدريس عليه السلام قال : مرحبًا بك من أخ ، ومرحبًا بك من رسول .

ثم عرج بي الملك إلى السماء الخامسة ، فاستفتح فقال : من ذا؟ قال : جبريل . قال : ومن معك؟ قال : محمد ﷺ . قال : وقد بعث؟ قال : نعم . قال : ففتح فإذا هارون عليه السلام فقال : مرحبًا بك من أخ ، ومرحبًا بك من رسول .

ثم عرج بي الملك إلى السماء السادسة ، فاستفتح الملك فقال : من ذا؟ قال : جبريل . قال : ومن معك؟ قال : محمد ﷺ . قال : وقد بعث؟ قال : نعم . قال : ففتح فإذا موسى عليه السلام فقال : مرحبًا بك من أخ ، ومرحبًا بك من رسول .

ثم عرج بي الملك إلى السماء السابعة ، فاستفتح الملك قال : من ذا؟ قال : جبريل . قال : ومن معك؟ قال : محمد ﷺ . قال : وقد بعث؟ قال : نعم . قال : ففتح فإذا إبراهيم عليه السلام فقال : مرحبًا بك من رسول ...»[1] الخبر بطوله .

فدلَّ هذا الخبر على أنهم ـ عليهم السلام ـ أحياء .

ولقد روى الحسن بن قتيبة المدائني وعد ذلك في أفراده[2] ، عن المستلم[3]

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ، ح(٥٠) ، وابن منده في «الإيمان» ، ح(٧٠٦) ، والحديث أصله في الصحيحين فقد أخرجه البخاريُّ في «المَنَاقِبِ» ، باب : «المِعْرَاجِ» ، ح(٣٥٩٨) ، ومسلمٌ في «الإِيمَانِ» ، باب : «الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّمَوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ» ، ح(٧٥١٧) .

(٢) في الأصل : «إفراده» .

(٣) في الأصل : «المسلم» ، وما أثبتناه الصواب ، وهو مستلم بن سعيد الثقفي الواسطي ، ابن أخت منصور بن زاذان ، من أهل واسط قليل الحديث ، شيخ ثقة ، روى له الأربعة ، وروى عن حجاج ابن أبي زياد الأسود ، وحسين بن قيس أبي علي الرحبي ، وغيرهم ، روى عنه حبان بن علي العنزي ، والحسن بن قتيبة المدائني ، وعبد الله بن المبارك وغيرهم ، قال يحيى بن معين : صويلح ، وقال : القول قول مستلم ، وصحف شعبة . وقال النسائي : ليس به بأس . [انظر : يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي : تهذيب الكمال ، تحقيق : د . بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ، (٢٧/٤٢٩-٤٣٢) ، ومحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي : الثقات ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م ، (٩/١٩٦)] .

ابن سعيد الثقفي ، عن الحجاج بن الأسود ، عن ثابت البناني ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « **الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ** »[1].

فإذا ثبت أن نبينا ﷺ حي ، فالحي لا بدَّ من أن يكون إما عالمًا أو جاهلاً ، ولا يجوز أن يكون النبي ﷺ جاهلاً ، قال ـ تعالى ـ في صفته : ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ** ﴾ (النجم:٢) ، وقال : ﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ** ﴾ (البقرة:٢٨٥)

فثبت أنه مؤمن ، ورتبة النبوة رتبة الشرف وعلو المنزلة ، وهو ﷺ يزداد كل يوم شرفًا ورتبة إلى الأبد ، فكيف لا يكون عارفًا ولا نبيًّا ؟

والرسول : فعول بمعنى المرسل ، ولا نظير له في اللغة . والإرسال : كلام الله ، وكلامه قديم ، وهو قبل أن خلق كان رسولاً بإرسال الله ، وفي حالة اليوم وإلى الأبد رسول ؛ لبقاء كلامه وقدم قوله ، واستحالة البطلان على إرساله الذي هو كلامه .

ولقد سئل رسول الله ﷺ فقيل له : مَتَى كُنْت نَبِيًّا ؟ فقال : « **وَآدَمُ مُنْجَدِلٌ**[2] **فِي طِينَتِه** »[3].

وأخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الكاتب ، حدثنا أحمد بن عبيد[4] الصفار ، حدثنا يعقوب بن غيلان ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سويد ، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي ، عن العرباض بن سارية قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنِّي لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنَّ آدَمَ مُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِه** »[5].

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «المسند» ، (١٤٧/٦) ، والبيهقي في «حياة الأنبياء في قبورهم» ، (٣/١) ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ، (١٤٤/٨) : «رواه أبو يعلى والبزار ، ورجال أبي يعلى ثقات» ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» ، ح(٤٥٥٦) .

(٢) «المنجدل : الساقط . والمجَدَّل الملقى بالجدَالة ، وهي الأرض» [لسان العرب ، مادة (جدل)].

(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ، (٤٩٦/١) ، والحاكم في «المستدرك»، (٢٢٨/٨) ، وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي .

(٤) في الأصل : «عبد».

(٥) أخرجه أحمد في «حَدِيثِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ» ، ح(١٦٥٢٥) ، والحاكم في «المستدرك» ، (٤٥١/٩) ، من طريق عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنَّ آدَمَ عليه السلام لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِه ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى بِي وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ ، وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ تَرَيْنَ** » ، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على «المسند» : «حديث صحيح لغيره دون قوله : (**وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ تَرَيْنَ**)» ، وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسناد» ، ووافقه الذهبي .

وأخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد ، حدثنا أحمد بن عبيد[1]، حدثنا محمد ابن غالب، حدثني محمد بن سنان ، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن بديل بن ميسرة، [عن][2] عبد الله بن شقيق ، عن ميسرة الفجر[3] قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ : « وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ »[4].

فإن قيل : فمن أين وقعت هذه المسألة إن لم يكن لها أصل ؟

قيل : إن بعض الكرامية[5] ملأ الله قبره نارًا ـ وظني أن الله قد فعل ـ ألزم بعض أصحابنا وقال : إذا كان عندكم الميت في حال موته لا يحس ولا يعلم فيجب أن يكون النبي ﷺ في قبره غير مؤمن ؛ لأن الإيمان عندكم المعرفة والتصديق ، والموت ينافي ذلك ، فإذا لم يكن له علم وتصديق لا يكون له إيمان ، ومن لا يكون مؤمنًا لا يكون نبيًّا ؛ ولأن عندهم الإيمان الإقرار الفرد ، وذلك قولهم لما قال الله لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ (الأعراف:١٧٢)، وزعموا أن قولهم : ﴿ بَلَىٰ ﴾ باقٍ والإيمان ذلك ، وفي حال الموت عندهم الميت يحس ويعلم ، وقوله : ﴿ بَلَىٰ ﴾ باقٍ عينه .

وهذه المذاهب لهم ـ مع ركاكتها وفسادها ـ غير ملزمة لنا ما ألزمونا ؛ لأن عندنا رسول الله ﷺ حي يحس ويعلم ، وتعرض عليه أعمال الأمة ، ويُبلّغ الصلاة والسلام على ما بيّنا ، ثم الأشعري لا يختص بقوله : إن الميت لا يحس ولا يعلم ؛ فإن أحدًا من المعتزلة وغيرهم من المتكلمين سوى الكرامية لم يقل : إن الميت

---

(١) في الأصل : « عبد » .

(٢) في الأصل : « وعن » .

(٣) ميسرة الفجر : صحابي ذكره البخاري والبغوي وابن السكن وغيرهم في الصحابة نزل البصرة . [أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي : الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الجيل ، بيروت ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ ، (٢٣٩/٦) ، ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ص(٤٦٩)] .

(٤) أخرجه الحاكم في « المستدرك »، (٦٦٥/٢)، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه »، ووافقه الذهبي .

(٥) لنا بحث استوفى الحديث عن الكرامية وآرائها وأهم رجالها ، وهو لم ينشر بعد .

يحس ويعلم ، وغير الكرامية لم يقل أحد : إن الإيمان هو الإقرار المجرد وهو قولهم : ﴿ بَلَىٰ ﴾ ، ولم يقل أحد سواهم : إن ذلك الإقرار الذي هو ﴿ بَلَىٰ ﴾ موجود ، وإن قال كثير من الناس ببقاء بعض الأعْرَاض ، وجواب الأشعري كجواب جميع الناس عن هذه المسألة مع ركاكتها وفساد قواعدها .

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن ما يُلزمه الخصم بدعواه فيقول : هذا على أصلكم ، ومقتضى علتكم يلزمكم ، فلا يجوز أن ينسب ذلك إلى صاحب المذهب فيقال : هذا مذهب فلان ، وما عروض هذا إلا عروض من قال : إن مذهب الحنفي أن الوضوء بالخمر جائز في السفر ؛ لأنه إذا جوّز التوضي بالنبيذ على وصْفٍ يلزمه أن يجوّز في الخمر ؛ لاشتراكهما في العلة ، وهو أن كل واحد منهما مسكر ، فمثل هذا الإلزام لا يصح أن ينسب به الحنفي أن يقول : يجوز التوضي في السفر بالخمر عند عدم الماء .

كذلك إذا قالوا : إن مذهب الأشعري أن النبي ﷺ ليس بنبي في قبره ؛ لأنه يلزمه حين قال : إن الميت لا يحس ولا يعلم أن يقول : إنه ليس بعالم ولا نبي ، ومن قال هذا كان كاذبًا ، وكان قوله بهتانًا ، فليُعلم ذلك يزلْ الإيهام ـ إن شاء الله تعالى .

[الشبهة الثانية][1]

وأما ما قالوه : إن مذهبه أنه يقول : إن الله لا يجازي المطيعين على إيمانهم وطاعاتهم ، ولا يعذب الكفار والعصاة على كفرهم ومعاصيهم .

فذلك ـ أيضًا ـ بهتان وتقوُّل ، وكيف يصح من قول أحدٍ يقر بالقرآن ؟ والله ـ تعالى ـ يقول في محكم كتابه : ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة:١٧، الأحقاف:١٤، الواقعة:٢٤) ، ويقول : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ﴾ (سبأ:١٧) ،

---

(١) عنوان من عندنا .

ويقول : ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ (النبأ:٣٦)، ويقول : ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴾ (القمر:٣٥)، وغير ذلك من الآيات ، وليس الخلاف في ذلك ، وإنما الخلاف في أن المعتزلة ومن سلك سبيلهم في التعديل والتجوير زعموا أنه يجب على الله ـ تعالى ـ أن يثيب المطيعين ، ويجب عليه أن يعذب العاصين ؛ فطاعة المطيعين علّة في استحقاقهم ثوابه ، وزلّات العاصين علّة في استحقاقهم عقابه .

وقال أهل السُّنة من الأشعرية ومن جميع من خالف المعتزلة : إن الله ـ سبحانه ـ لا يجب عليه شيء ، وقالوا : إن الخلْق خلْقُه ، والمُلْك مُلكه ، والحُكْم حُكْمه ، فله أن يتصرف في العباد بما يشاء ، وله أن يوصل الألم إلى من يشاء ، ويوصل اللذة إلى من يشاء ، وأنه يثيب المؤمنين ووعد لهم الجنة ، وقوله صدق ، فلا محالة أنه يجازيهم ويثيبهم ، ولو لم يعدهم عن طاعاتهم الثواب لم يكن يجب للعبد عليه شيء ؛ فإنه توعد العصاة بالعقوبة على معاصيهم على ذلك ؛ لأن وعيده حق ، ولو لم يعذبهم ولم يتوعدهم لكان ذلك جائزًا ، إلا أن الله ـ سبحانه ـ قال في صفة نفسه : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (البروج:١٦)؛ فالمطيعون ـ لا محالة ـ لهم جزاء الطاعات ، ولكن بفضل الله عليهم لا باستحقاقهم ، والعاصون ـ لا محالة ـ لهم على معاصيهم ما توعّدهم به من العقاب ، لكن لحكمة لا باستحقاقهم ؛ فالطاعات والمعاصي علامات للثواب والعقاب لا عِلل ولا موجبات ، ومن صرّح في مخالفة هذا فقد أقر بالاعتزال والقدر ، ولقد أخبر الله ـ سبحانه ـ عن أهل الجنة أنهم يقولون : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (فاطر:٣٥)، وقال ـ تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ (النور:٢١)، وقال ـ تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾(يونس:٩٩)، وقال ـ تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (السجدة:١٣)، وقال ـ تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ (الأنعام:١٢٥).

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد الإسفرايني[1]، أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق، حدثنا سعيد بن مسعود المروزي السلمي، أخبرنا النضر، عن شهيل، أخبرنا ابن[2] عون، عن محمد، عن أبي هريرة قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ**». قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**وَلا أَنَا إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَمَغْفِرَةٍ**»[3].

أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك ـ رحمة الله عليه[4]، أن عبد الله ابن جعفر أخبرهم، حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا ابن أبي ذئب، عن سعيد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ**». قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ**»[5].

---

(١) أبو نعيم الإسفرايني [٣١٠-٤٠٠هـ = ٩٢٢-١٠٠٩م]: عبد الملك بن الحسن بن محمد بن إسحاق بن الأزهر الأزهري، الشيخ العالم مسند خراسان، ولد في ربيع الأول سنة عشر وثلاثمائة، روى عن خال أبيه الحافظ أبي عوانة كتاب «الصحيح المسند»، وأجاز أبو عوانة أبا نعيم جميع كتبه في كتاب كتبه في وصيته له ولجماعة، واحتاط له خاله في سماعه، فبارك الله في عمره حتى سمعه الأئمة. كان رجلاً صالحًا ثقةً، حضر إلى نيسابور في آخر عمره، ولم يعهد بعد ذلك المجلس مثله لقراءة الحديث، وعاد إلى إسفراين في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، روى عنه أبو القاسم القشيري، وزوجته فاطمة بنت أبي علي الدقاق، وغيرهم. توفي في ربيع الأول سنة أربعمائة. [انظر: سير أعلام النبلاء، (١٧/٧١-٧٣)].

(٢) في الأصل: «أبو»، والتصويب من رواية الإمام مسلم.

(٣) أخرجه مسلمٌ في «صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ»، باب: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللهِ ـ تَعَالَى»، ح(٧٢٩٢).

(٤) ابن فورك [...-٤٠٦ هـ = ...-١٠١٥م]: «محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر: واعظ عالم بالأصول والكلام، من فقهاء الشافعية. سمع بالبصرة وبغداد، وحدث بنيسابور، وبنى فيها مدرسة. بلغت تصانيفه في أصول الدين وأصول الفقه ومعاني القرآن قريبًا من المائة» [الأعلام، (٦/٨٣) باختصار].

(٥) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»، (٣/١٨)، والطيالسي في مسنده، ح(٢٤٣١)، والحديث في صحيح البخاري في «الرقاق»، باب: «الْقَصْدِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعَمَلِ»، ح(٦٤٦٣) ومواضع أخر من طريق أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ». قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «وَلاَ أَنَا، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ. وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا».

وهذه المسألة من شعب مسألة القدر ، وأهل الحق لا يقولون بوجوب شيء على الله ، ويقولون : لله أن يحكم على عباده بما يريد ، ويختص من يشاء بالرحمة ، ويخص من يشاء بالألم والشدة ، ولو لم يَعِد أهل الطاعات بالثواب لم يتوجه لأحد عليه حق ، ولو ابتدأ الخلق بالعذاب لم يلحقه فيه لوم .

ولقد روى ابْنُ الدَّيْلَمِيِّ ـ رحمه الله ـ قَالَ : أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ : إنه وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ الْقَدَرِ ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ[1] مِنْ قَلْبِي . فَقَالَ : لَوْ أَنَّ اللَّهَ ﷻ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللَّهُ ﷻ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ .

ثُمَّ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ لَقِيتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ لَقِيتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنْ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ ذَلِكَ[2] .

ولقد أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الأهوازي ، أخبرنا أحمد بن عبيد[3] الصفار ، حدثنا بشر بن موسى ، حدثنا حجاج ، حدثنا إسماعيل بن عياش الحمصي ، حدثنا عمر بن عبيد الله مولى غفرة ، عن رجل من الأنصار ، عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ :« **يَكونُ قومٌ يَقُولُونَ : لا قَدَرَ ، أُولئكَ مَجُوسُ هَذه الأُمَّة ، فإنْ مَرضوا فَلا تَعُودُوهُم ، وَإنْ مَاتوا فَلا تَشْهَدُوهُم ؛ فَإنَّهُمْ شيعَةُ الدَّجَّال ، وَحَقٌّ عَلَى اللَّه أَنْ يُلْحقَهُمْ به** »[4] .

---

(١) في الأصل : « يذهب » .

(٢) أخرجه أبو داود في « السُّنَّة » ، باب : « فِي الْقَدَرِ » ، ح(٤٧٠١) ، وأحمد في « حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ » ، ح(٢٠٦٠٧) ، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على « المسند » : « إسناده قوي » ، وقد صححه الألباني في « صحيح سنن أبي داود » ، ح(٤٦٩٩) .

(٣) في الأصل : « عبد » .

(٤) أخرجه الطيالسي في مسنده ، ح(٤٢٩) ، وأحمد في « حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ » ، ح(٢٢٣٥٩) ، بلفظ : « **إنَّ لكُلِّ أُمَّة مَجُوسًا ، وَمَجُوسُ هَذه الأُمَّة الَّذينَ يَقُولُونَ : لاَ قَدَرَ ، فَمَنْ مَرضَ منْهُمْ فَلاَ تَعُودُوهُ ، وَمَنْ مَاتَ منْهُمْ فَلاَ تَشْهَدُوهُ ، وَهُمْ شيعَةُ الدَّجَّال حَقًّا عَلَى اللَّه ﷻ أَنْ يُلْحقَهُمْ به** » ، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على « المسند » : « إسناده ضعيف » .

وأخبرنا علي بن أحمد ، أخبرنا أحمد بن عبيد[1] ، حدثنا محمد بن خلف بن هشام ، حدثنا محرز بن عون ، عن حسان بن إبراهيم الكرماني ، عن نصر ، عن قتادة ، عن أبي حسان الأعرج ، عن ناجية بن كعب ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **خَلَقَ اللَّهُ يَحْيَى فِي بَطْنِ أُمِّهِ مُؤْمِنًا ، وَخَلَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ كَافِرًا** »[2].

فالحمد لله الذي أوضح سبيل الدين بحججه ، وهدى للحق سالكي نهجه ، وخذل أهل البدع حتى فضحوا أنفسهم بنصرة الباطل ، وظهر لجميع أهل السنة ما كان ملتبسًا عليهم من أحوالهم الخافية .

[الشبهة الثالثة][3]

وأما ما يقولون عن الأشعري : إن مذهبه أن موسى عليه السلام لم يسمع كلام الله عز وجل ، فسبحان الله! كيف لا يستحيي من يأتي بمثل هذا البهتان الذي يشهد بتكذيبه كل مخالف وموافق؟ إن حدّ ما يجوز أن يسمع عند الأشعري هو الموجود ، وكلام الله عنده قديم ، فكيف يقول : لا يجوز أن يسمع كلام الله وقد قال الله ـ سبحانه : ﴿ **وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا** ﴾ (النساء:١٦٤)؟

ومذهبه أن الله ـ تعالى ـ أفرد موسى في وقته بأن أسمعه كلام نفسه بغير واسطة ، ولا على لسان رسول ، وإنما لا يصح هذا على أصول القدرية الذين يقولون : إن كلام الله مخلوق في الشجرة وموسى عليه السلام يسمع كلامه .

---

(١) في الأصل : « عبد ».

(٢) أخرجه البيهقي في « القضاء والقدر » ، ح(٧٠) ، والطبراني في « الكبير » ، ح(١٠٣٩٢) ، وقال الهيثمي في « المجمع » ، (١١٣/٧) :« رواه الطبراني وإسناده جيد »، وقد صححه الألباني في « السلسلة الصحيحة » ، ح(١٨٣١).

(٣) عنوان من عندنا .

وقال الأشعري : لو كان كلامه ـ سبحانه ـ في الشجرة لكان المتكلم بذلك الكلام الشجرة ! فالقدرية قالوا : إن موسى عليه السلام سمع كلامًا من الشجرة ، فلزمهم أن يقولوا : إنه سمع كلام الشجرة لا كلام الله ، وهذا كما قيل في المثل : « **رَمَتني بدائها وَانسَلَّت** »[1] ، ومن نسب إلى أحد قولاً لم يسمعه يقوله ، ولا أحد حكى أنه سمعه يقول ذلك ، ولا وُجد ذلك في كتبه ، ولم يقله أحد من أصحابه ، ولم يناظر عليه أحد ممن ينتحل مذهبه ، ولا وُجد في كتب المقالات لموافق ولا مخالف أن ذلك مذهبه ، عُلم أنه بهتان وكذب ، وقد قال الله ـ تعالى ـ في قصة الإفك : ﴿ **وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ** ﴾ (النور:١٦)، وهذه مضاهية لتلك ، ونعوذ بالله من رقة الدين وقلة الحياء .

[الشبهة الرابعة][2]

وأما ما قالوا : إن مذهبه أن القرآن لم يكن بين الدفتين ، وليس القرآن في المصحف عنده ، فهذا ـ أيضًا ـ تشنيع فظيع ، وتلبيس على العوام .

إن الأشعري وكل مسلم غير مبتدع يقول : إن القرآن كلام الله ، وهو على الحقيقة مكتوب في المصاحف لا على المجاز ، ومن قال : إن القرآن ليس في المصاحف ـ على هذا الإطلاق ـ فهو مخطئ ، بل القرآن مكتوب في المصحف على الحقيقة ، والقرآن كلام الله ، وهو قديم غير مخلوق ، ولم يزل القديم ـ سبحانه ـ به متكلمًا ، ولا يزال به قائمًا ، ولا يجوز الانفصال على القرآن عن ذات الله ، ولا الحلول في المَحالِّ ، وكون الكلام مكتوبًا على الحقيقة في الكتاب

---

(١) أصل هذا المثل « أن سعد بن زيد مناة بن تميم كان تزوج رهم بنت الخزرج بن تيم الله بن رفيدة ابن ثور بن كلب بن وبرة ، وكانت من أجمل الناس ، فولدت له مالك بن سعد وعوفًا ، وكان ضرائرها إذا سابينها يقلن : يا عفلاء . فقالت لها أمها : سابينك فابدئيهن بعفال فسابتها بعد ذلك امرأة من ضرائرها ، فقالت : يا عفلاء ، فقالت ضرتها : رمتني بدائها وانسلت فأرسلتها مثلاً » [المفضل الضبي : الأمثال ، ص(٥٦)] . وقال اليوسي : هو مثل « يضرب في تعييرك صاحبك بعيب هو فيك » [اليوسي : زهر الأكم في الأمثال والحكم ، ص(٢٩٠)] .

(٢) عنوان من عندنا .

لا يقتضي حلوله فيه ، ولا انفصاله عن ذات المتكلم ، قال الله ـ سبحانه : ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ (الأعراف:١٥٧)؛ فالنبي ﷺ على الحقيقة مكتوب في التوراة والإنجيل ، وكذلك القرآن على الحقيقة مكتوب في المصاحف ، محفوظ في قلوب المؤمنين ، مقروءٌ متلوٌّ على الحقيقة بألسنة القارئين من المسلمين ، كما أن الله ـ تعالى ـ على الحقيقة لا على المجاز معبود في مساجدنا ، معلوم في قلوبنا ، مذكور بألسنتنا ، وهذا واضح بحمد الله .

ومن زاغ عن هذه الطريقة فهو قدري معتزلي يقول بخلق القرآن ، وأنه حالٌّ في المصحف ، نظير ما قالوا : إنه لما أسمع موسى عليه السلام كلامه خلق كلامه في الشجرة ، وهذا من فضائح المعتزلة التي لا يخفى فسادها على محصِّل ، وذلك أن عند الجبائي[1] الذي هو رئيس القدرية البصرية أن القرآن يحلُّ في جميع المصاحف ، ولا يزداد بزيادة المصاحف ، ولا ينقص بنقصانها ، وهو حالٌّ في حالة واحدة في ألف ألف مصحف ، وإذا زيد في المصاحف يحصل فيها ، وإذا نقصت المصاحف وبطلت لم يبطل الكلام ولم ينقص ، ولئن لم يكن هذا قولاً متناقضًا فاسدًا فلا محال في الدنيا .

---

(١) الجبائي [٢٣٥-٣٠٣هـ = ٨٤٩-٩١٦م] : محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن جمران ابن أبان ، مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، المعروف بـ«الجبائي» ، من أئمة المعتزلة ، ورئيس علماء الكلام في عصره ، وإليه نسبة الطائفة (الجبائية) ، نسبته إلى جبى (من قرى البصرة) ، له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب ، أخذ عن أبي يعقوب بن عبد الله البصري الشحام رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره ، وأخذ عنه ابنه أبو هاشم عبد السلام والذي تعرف طائفته بـ«البهشمية» ، والشيخ أبو الحسن الأشعري شيخ السُّنة ، كان الجبائي زوج أمه ، ثم أعرض عنه الأشعري وخالفه ونابذه وتسنن لما ظهر له فساد مذهبه ، وقيل : تاب منه ، وله معه مناظرة روتها العلماء ، وللجبائي (تفسير) حافل مطول ، ردَّ عليه الأشعري ، والجبائي وابنه انفردا عن أصحابهما بمسائل ، وانفرد كل منهما عن الآخر بمسائل هي مذكورة في كتب الكلام . وله مصنفات كثيرة منها : كتاب «الأصول» ، و«النهي عن المنكر» ، و«التعديل والتجوير» ، و«الاجتهاد» ، و«الأسماء والصفات» ، و«التفسير الكبير» ، و«النقض على ابن الراوندي» ، و«الرد على ابن كلاب» ، و«الرد على المنجمين» ، و«من يكفر ومن لا يكفر» ، و«شرح الحديث» ، وأشياء كثيرة . توفي بالبصرة في شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة . [انظر : سير أعلام النبلاء ، (١٤/١٨٣-١٨٤) ، وأبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، (٤/٢٦٧) ، والوافي بالوفيات ، (١/٤٧٦) ، والأعلام ، (٦/٢٥٦)] .

وأما البغداديون من المعتزلة فعندهم كلام الله ﷻ كان أعراضًا حين خلقه ، والقرآن عندهم كان أعراضًا ، ولا يجوز عندهم البقاء على الأعراض ، فعلى مذهبهم ليس لله إلا كلام موجود على الحقيقة ، والقرآن الذي أنزله الله ﷻ على محمد ﷺ ليس بباق اليوم ولا موجود ، ومن ينتحل مثل هذه البدع ثم يرمي خصمه بما هو بريء منه فالله ـ سبحانه ـ حسيبه ، وجميع أهل التحصيل شهداء على بهته .

[الشبهة الخامسة][1]

وأما ما قالوا : إن الأشعري يقول بتكفير العوام ، فهو ـ أيضًا ـ كذب وزور ، وقصْدُ من يتعنت بذلك تحريش الجهلة والذين لا تحصيل لهم عليه ، كعادة من لا تحصيل له في تقوّله بما لا أصل له ، وهذا ـ أيضًا ـ من تلبيسات الكرامية على العوام ومن لا تحصيل له ؛ فإنهم يقولون : الإيمان هو الإقرار المجرد ، ومن لا يقول : الإيمان هو الإقرار انسدّ عليه طريق التمييز بين المؤمن وبين الكافر ؛ لأنا إنما نفرق بينهما بهذا الإقرار ، وغير الكرامية من غير أهل القبلة لا يجوِّز هذا السؤال ، وجميع أهل القبلة سوى الكرامية في الجواب عن هذا السؤال متساوون .

وذلك أن الإيمان عند أصحاب الحديث : جميع الطاعات فرضها ونفلها ، والانتهاء عن جميع ما نهى الله عنه تحريمًا وتنزيهًا .

وعند أبي الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ الإيمان : هو التصديق ، وهذا مذهب أبي حنيفة ﷺ ، والظن بجميع عوام المسلمين أنهم يصدقون الله ـ تعالى ـ في إخباره ، وأنهم عارفون بالله مستدلون عليه بآياته ، فأما ما تنطوي عليه العقائد ويستكنّ في القلوب من اليقين والشك فالله ـ تعالى ـ أعلم به ، وليس لأحد على ما في قلب أحد اطّلاع ، فنحن نحكم لجميع عوام المسلمين بأنهم مؤمنون مسلمون في الظاهر ، ونحسن الظن بهم ، ونعتقد أن لهم نظرًا واستدلالاً في أفعال الله ، وأنهم يعرفونه ـ سبحانه ، والله أعلم بما في قلوبهم ، وليس كل ما يحكم به على الناس

---

(١) عنوان من عندنا .

بأحكام المسلمين هو عين الإيمان ، فإن الدار إذا كانت دار إسلام ووجدنا شخصًا ليس معه غيار الكفار فإنا نأكل ذبيحته ونصلّي خلفه ، ولو وجدناه ميتًا لغسلناه ونصلّي عليه وندفنه في مقابر المسلمين ، ونعقد معه عقد المصاهرة ، وإن لم نسمع منه الإقرار ، وكونه بزي المسلمين بالاتفاق ليس بإيمان ، وبذلك نُجري عليه أحكام المؤمنين ، وكذلك بالإقرار نُجري عليه أحكام المؤمنين ، وإن كان الإيمان غير الإقرار .

فإن قيل : فقد قال الله ـ تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ . . . وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ﴾ (البقرة:٢٢١) ، وإذا أتى بالإقرار حكمنا بإيمانه ، فعلم أن الإقرار هو الإيمان!

قيل : هذا كسؤال الكرامية ، ولا يختص الأشعري بجوابه ، فجميع من لا يقول : إن الإيمان هو الإقرار المجرد مشتركون في الجواب عن هذا .

وجواب الجمهور : أنا بإقراره نحكم في الظاهر بإيمانه والله أعلم بحقيقة حاله في صدقه وكذبه ، وهذا كقوله ـ تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ (البقرة:٢٢٢)، ثم إذا قالت : قد طهُرت جاز قُربانها ، وإن جاز أن يكون حالها في المغيَّب بخلاف ما قالت فكذلك هذا .

فإن قالوا : فالأشعري يقول : إن العوام إذا لم يعلموا علم الكلام فهم أصحاب التقليد فليسوا بمؤمنين!

قيل : هذا ـ أيضًا ـ تلبيس ، ونقول : إن الأشعري لا يشترط في صحة الإيمان ما قالوا من علم الكلام ، بل هو وجميع أهل التحصيل من أهل القبلة يقولون : يجب على المكلف أن يعرف الصانع المعبود بدلائله التي نصبها على توحيده ، واستحقاق نعوت الربوبية ، وليس المقصود استعمال ألفاظ المتكلمين من الجوْهر والعَرَض ، وإنما المقصود حصول النظر والاستدلال المؤدي إلى معرفة الله ﷻ ، وإنما استعمل المتكلمون هذه الألفاظ على سبيل التقريب والتسهيل على المتعلمين ، والسلف الصالح وإن لم يستعملوا هذه الألفاظ لم يكن في معارفهم خلل ، والخلف الذين استعملوا هذه الألفاظ لم يكن ذلك منهم لطريق الحق مباينة ،

ولا في الدين بدعة ، كما أن المتأخرين من الفقهاء عن زمان الصحابة والتابعين استعملوا ألفاظ الفقهاء من لفظ : العلة والمعلول والقياس وغيره ، ثم لم يكن استعمالهم بذلك بدعة ، ولا خلوّ السلف عن ذلك كان لهم نقصًا ، وكذلك شأن النحويين والتصريفيين ونقلة الأخبار في ألفاظ تختص كل فرقة منهم بها .

[الشبهة السادسة][1]

فإن قالوا : إن الاشتغال بعلم الكلام بدعة ، ومخالفة لطريق السلف .

قيل : لا يختص بهذا السؤال الأشعري دون غيره من متكلمي أهل القبلة ، ثم الاسترواح[2] إلى مثل هذا الكلام صفة الحشوية الذين لا تحصيل لهم ، وكيف يظن بسلف الأمة أنهم لم يسلكوا سبيل النظر ، وأنهم رضوا بالتقليد ، حاش لله أن يكون ذلك وصفهم! ولقد كان السلف من الصحابة ﷺ مستقلين بما عرفوا من الحق ، وسمعوا من الرسول ﷺ من أوصاف المعبود ، وتأملوه من الأدلة المنصوبة في القرآن ، وإخبار الرسول ﷺ في مسائل التوحيد ، وكذلك التابعون ، وأتباع التابعين ؛ لقرب عهدهم من الرسول ﷺ ، فلما ظهر أهل الأهواء وكثر أهل البدع من : الخوارج والجهمية والمعتزلة والقدرية ، وأوردوا الشُّبَه ، انتدب أئمة السُّنة لمخالفتهم والانتصار للمسلمين بما ينير طريقهم ، فلما أشفقوا على القلوب أن تخامرها شبههم شرعوا في الرد عليهم ، وكشف فسقهم ، وأجابوهم عن أسئلتهم ، وتحاموا عن دين الله بإيضاح الحجج ، ولما قال الله ـ تعالى : ﴿ **وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ** ﴾ (النحل:١٢٥) تأدبوا بآدابه ـ سبحانه ، ولم يقولوا في مسائل التوحيد إلا بما نبههم الله ـ سبحانه ـ عليه في محكم التنزيل .

والعجب ممن يقول : ليس في القرآن علم الكلام ، والآيات التي في الأحكام الشرعية ، والآيات التي فيها علم الأصول يجدها توفي على ذلك وتربي بكثير ، وفي الجملة لا يجحد علم الكلام إلا أحد رجلين :

---

(١) عنوان من عندنا .

(٢) «استروح إليه : سكن واطمأن» [المعجم الوسيط ، (١/٣٩٣)] .

جاهل ركن إلى التقليد ، وشقَّ عليه سلوك أهل التحصيل ، وخلا عن طريق أهل النظر ، والناس أعداء ما جهلوا ، فلما انتهى عن التحقق بهذا العلم نهى الناس ليضلَّ غيره كما ضلَّ .

أو رجل يعتقد مذاهب فاسدة ، فينطوي على بدع خفية يلبس على الناس عوار مذهبه ، ويعمي عليهم فضائح طويته وعقيدته ، ويعلم أن أهل التحصيل من أهل النظر هم الذين يهتكون الستر عن بدعهم ، ويظهرون للناس قبح مقالتهم ، والقلاب لا يحب من يميز النقود ، والخلل فيما في يده من النقود الفاسدة لا في الصراف ذي التمييز والبصيرة ، وقد قال الله ـ تعالى : ﴿ **هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ (الزمر:٩).

ولما ظهر ابتداء هذه الفتنة بنيسابور ، وانتشر في الآفاق خبره ، وعظم على قلوب كافة المسلمين من أهل السُّنة والجماعة أثره ، ولم يبعد أن يخامر قلوب بعض أهل السلامة والوداعة توهمٌ في بعض هذه المسائل أن لعل أبا الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري ـ رحمه الله ـ قال ببعض المقالات في بعض كتبه ، ولقد قيل : « **مَنْ يَسْمَعْ يَخَلْ** »[١]، أثبتنا هذه الفصول في شرح هذه الحالة ، وأوضحنا صورة الأمر بذكر هذه الجملة ؛ ليضرب كلٌّ من أهل السُّنة ـ إذا وقف عليها ـ بسهمه في الانتصار لدين الله ﷻ من دعاء يخلصه ، واهتمام يصدقه ، وكل[٢] عن قلوبنا بالاستماع إلى شرح هذه القصة يحمله[٣]، بل ثواب من الله ـ سبحانه ـ على التوجع بذلك يستوجبه ، والله غالب على أمره .

وله الحمد على ما يمضيه من أحكامه ، ويبرمه ويقضيه في أفعاله ، فيما يؤخره ويقدمه ، وصلواته على سيدنا محمد المصطفى ، وعلى آله وسلَّم تسليمًا .

تمت الشكاية

* * *

---

(١) « أي : يظن ويتهم . يقوله الرجل إذا بلغ شيئًا عن رجل فاتهمه . وقيل : معناه أن من يسمع أخبار الناس ومعايبهم يقع في نفسه المكروه عليهم ، أي أن المجانبة للناس أسلم» [أبو القاسم محمود ابن عمر الزمخشري : المستقصى في أمثال العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م ، (٣٦٢/٢)] . « وقيل : يقال ذلك عندَ تَحقيق الظَّنِّ» [تاج العروس ، مادة (خيل)] .

(٢) كذا بالأصل .

(٣) كذا بالأصل .

الرسالة الثانية

رسالة الحافظ البيهقي إلى العميد[1]

[قال] ابن عساكر : أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن حبيب العامري الحافظ ببغداد ، أنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي ، أنا والدي الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي قال :

سلام الله ورحمته وبركاته على الشيخ العميد

---

(١) عميد الملك الكندري [٤١٥-٤٥٧هـ = ١٠٢٤-١٠٦٤م] : محمد بن منصور بن محمد الكندري ، أبو نصر ، عميد الملك ، ولد بكندر من قرى نيسابور ، سنة خمس عشرة وأربعمائة ، وتفقه وتأدب ، كان وزير السلطان طغرلبك ، ويعتبر أول وزراء الدولة السلجوقية (التركمانية) ، وأول وزير لقب بألقاب كثيرة بالدولة والدين ، وكان يلقب «شرف الدين» ، صحبه إمام الحرمين ، وكان الوزير شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة في الشافعي ، وبلغ من تعصبه أنه خاطب السلطان ألب أرسلان في لعن الرافضة على المنابر بخراسان فأذن له في ذلك ، فأضاف إليهم الأشعرية ، فأنف من ذلك أئمة خراسان منهم أبو القاسم القشيري وإمام الحرمين وغيرهما ، وفارقوا خراسان ، وقيل : إنه تاب بعد ذلك من الوقيعة فيهم ، فلما جاءت الدولة النظامية أحضر من انتزح منهم وأحسن إليهم ، وكان أحد رجال الدهر سؤددًا وجودًا وشهامةً وكتابةً ، وكان عميد الملك ممدحًا مقصدًا للشعراء ، مدحه جماعة من أكابر شعراء عصره ، منهم أبو الحسن الباخرزي . وكان كاتبًا ، ثم ارتقى وولي خوارزم ، وعظم ، ثم عصي على السلطان ، وتزوج بامرأة ملك خوارزم ، فتحيل السلطان حتى ظفر به ، وخصاه لتزوجه بها ، ثم رقَّ له وتداوى وعوفي ، ووزر له ، وقدم بغداد ، ولقبه القائم «سيد الوزراء» ، وكان معتزليًا ، له النظم والنثر ، ولما توفي طغرلبك وخلفه السلطان عضد الدولة ألب أرسلان السلجوقي ، أمر عضد الدولة بالقبض على عميد الملك وعزله من الوزارة ، وكان ذلك في المحرم من سنة ست وخمسين وأربعمائة ، وفوض الوزارة إلى نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي ، وحبس عميد الملك بـ«نيسابور» في دار عميد خراسان ، ثم نقله إلى «مرو الروذ» ، وحبسه في داره ، وقتل صبرًا ، وطيف برأسه ، في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وله اثنتان وأربعون سنة . [انظر : سير أعلام النبلاء ، (١١٠/١٨) ، ووفيات الأعيان ، (١٣٨/٥) ، والوافي بالوفيات ، (١١٥/٢) ، والأعلام ، (١١١/٧)] .

وإني أحمد إليه الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، وأصلي على رسوله محمد ، وعلى آله .

أما بعد . . .

فإن الله عز وجلّ ثناؤه بفضله وَجُوده يؤتي من يشاء من عباده ملك ما يريده من بلاده ، ثم يهدي من يشاء منهم إلى صراطه ، ويوفقه للسعي في مرضاته ، ويجعل له فيما يتولاه وزير صدق يوفي إليه بالخير ويحض عليه ، ومعين حق يشير[1] إليه بالبر ويعين عليه ؛ ليفوز الأمير والوزير معًا بفضل الله فوزًا عظيمًا ، وينالا من نعمته[2] حظًا جسيمًا .

وكان الأمير ـ أدام الله دولته ـ ممن آتاه الله الملك والحكمة ، والشيخ العميد ـ أدام الله سيادته ـ ممن جعله الله له وزير صدق ، إن نسي ذكّره ، وإن ذكر أعانه ، كما أخبر سيدنا المصطفى ﷺ عن كل أمير أراد الله به خيرًا[3] ، فعادت بجميل نظر الأمير ـ أدام الله أيامه ، وحسن رعايته وسياسته ـ بلاد خراسان إلى الصلاح بعد الفساد ، وطرقها إلى الأمن بعد الخوف ، حتى انتشر ذكره بالجميل في الآفاق ، وأشرقت الأرض بنور عدله كل الإشراق ، ولذلك قال سيدنا المصطفى ﷺ فيما روي عنه : «**السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ وَرُمْحُهُ فِي الأَرْضِ**»[4]، وقال فيما روي عنه ﷺ : «**يَوْمٌ مِنْ أَيامِ إِمَامٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً**»[5].

---

(١) في النسخة التي بين أيدينا : « يثير ».

(٢) في النسخة التي بين أيدينا : « نقمته ».

(٣) يشير البيهقي للحديث الذي أخرجه أبو داود في « الخراج » ، باب : « فِي اتِّخَاذِ الْوَزِيرِ » ، ح(٢٩٣٤) ، من طريق عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « **إذا أراد الله بالأمير خيرًا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره ، وإن ذكر لم يعنه** » ، وقد صححه الألباني في « صحيح سنن أبي داود » ، ح(٢٩٣٢) .

(٤) أخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » ، (١٦٢/٨) ، و« شعب الإيمان » ، (٤٢٥/١٥) من طريق أنس ، وقد ضعفه الألباني في « السلسلة الضعيفة والموضوعة » ، ح(٢٥٠٤) .

(٥) أخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » ، (١٦٢/٨) ، و« شعب الإيمان » ، (٤٣٠/١٥) ، والطبراني في « الكبير » ، (٣١/١٠) من طريق ابن عباس ، وقال الهيثمي في « المجمع » ، (٢٢٦/٥) : « رواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » ، وفيه سعد أبو غيلان الشيباني ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات » ، وقد ضعفه الألباني في « السلسلة الضعيفة والموضوعة » ، ح(٩٨٩) .

وقال عبد الله بن المبارك رضي الله عنه :

لَوْلا الأَئِمَّـةُ لَـمْ تَـأمَنْ لَنَـا سُـبُلٌ وَكَـانَ أَضْـعَفُنَا نَهْبًـا لأَقْوَانَـا[1]

زاده الله علوًّا وتأييدًا ، وزاد من يؤازره بالخير ويحثه عليه توفيقًا وتسديدًا .

ثم إنه ـ أعز الله نصره ـ صرف همته العالية إلى نصرة دين الله ، وقمع أعداء الله ، بعد ما تقرر للكافّة حسن اعتقاده بتقرير خطباء أهل مملكته على لعن من استوجب اللعن من أهل البدعة ببدعته ، وأيس أهل الزيغ عن زيغه عن الحقِّ وميله عن القصد ، فألقوا في سمعه ما فيه مساءة أهل السُّنة والجماعة كافةً ، ومصيبتهم عامة من : الحنفية والمالكية والشافعية ، الذين لا يذهبون في التعطيل مذاهب المعتزلة ، ولا يسلكون في التشبيه طرق المجسمة في مشارق الأرض ومغاربها ، ليتسلوا بالأسوة معهم في هذه المساءة عمّا يسوءهم من اللعن والقمع في هذه الدولة المنصورة ـ ثبتها الله .

ونحن نرجو[2] عثوره عن قريب على ما قصدوا ، ووقوفه على ما أرادوا ، فيستدرك ـ بتوفيق الله ﷻ ـ ما بدر منه فيما ألقي إليه ، ويأمر بتعزير من زوّر عليه ، وقبّح صورة الأئمة بين يديه .

وكأنه خفي عليه ـ أدام الله عزه ـ حال شيخنا أبي الحسن الأشعري ـ رحمة الله عليه ورضوانه ، وما يرجع إليه من شرف الأصل ، وكبر المحل في العلم والفضل ، وكثرة الأصحاب من : الحنفية والمالكية والشافعية ، الذين رغبوا في علم الأصول ، وأحبوا معرفة دلائل العقول .

والشيخ العميد ـ أدام الله توفيقه ـ أولى أوليائه ، وأحراهم بتعريفه حاله وإعلامه فضله ؛ لما يرجع إليه من الهداية والدراية والشهامة والكفاية ، مع صحة العقيدة وحسن الطريقة .

---

(١) البيت من البسيط ، وهو في ديوانه من قصيدته التي مطلعها :

إني امرؤٌ ليس في دِيني لغـامرةٍ لينٌ وَلستُ عَلى الأسلافِ طعّانـا

(٢) في الأصل : « نرجو » .

وفضائل الشيخ أبي الحسن الأشعري ومناقبه أكثر من أن يمكن ذكرها في هذه الرسالة ؛ لما في الإطالة من خشية الملالة ، لكني أذكر ـ بمشيئة الله تعالى ـ من شرفه بآبائه وأجداده ، وفضله بعلمه وحسن اعتقاده ، وكبر محله بكثرة أصحابه ما يحمله على الذبِّ عنه وعن أتباعه .

فليعلم الشيخ العميد ـ أدام الله سيادته ـ أن أبا الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ من أولاد أبي موسى الأشعري ﷺ ؛ فإنه أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى .

وأبو موسى هو عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري ، ينسب إلى الجماهر بن الأشعر .

والأشعر من أولاد سبأ الذين كانوا باليمن ، فلما بعث الله ـ تعالى ـ نبيَّه ﷺ هاجر أبو موسى الأشعري مع أخويه في بضع وخمسين من قومه إلى أرض الحبشة ، وأقاموا مع جعفر بن أبي طالب ﷺ حتى قدموا جميعًا على رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر .

ثم ذكر من فضل أبي موسى بعض ما قدمته بأسانيده إلى أن قال :

ورزق من الأولاد والأحفاد مع الدراية والرواية والرعاية ما يكثر نشره ، وأساميهم في التواريخ مثبتة ، ومعرفتهم عند أهل العلم بالرواية مشهورة ، إلى أن بلغت النوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ فلم يُحدث في دين الله حدثًا ، ولم يأت فيه ببدعة ، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين ، فنصرها بزيادة شرح وتبيين ، وأن ما قالوا في الأصول وجاء به الشرع صحيح في العقول ، خلاف ما زعم أهل الأهواء من أن بعضه لا يستقيم في الآراء ، فكان في بيانه تقوية ما لم يدل عليه من أهل السنة والجماعة ، ونصرة أقاويل من مضى من الأئمة كـ : أبي حنيفة وسفيان الثوري من أهل الكوفة ، والأوزاعي وغيره من أهل الشام ، ومالك والشافعي من أهل الحرمين ، ومن نحا نحوهما من الحجاز ، وغيرها من سائر البلاد ، وكأحمد بن حنبل وغيره من أهل

الحديث ، والليث بن سعد وغيره ، وأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري إمامي أهل الآثار وحفاظ السنن التي عليها مدار الشرع ـ رضي الله عنهم أجمعين .

وذلك دأب من تصدى من الأئمة في هذه الأمة ، وصار رأسًا في العلم من أهل السُّنة في قديم الدهر وحديثه ، وبذلك وعد سيدنا المصطفى ﷺ أمته فيما روى عنه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال : « **يَبْعَثُ اللَّهُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا** »[1] ، وهم هؤلاء الأئمة الذين قاموا في كلِّ عصر من أعصار أمته بنصرة شريعته ، ومن قام بها إلى يوم القيامة ، وحين نزل قول الله عز وجل : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ** ﴾ (المائدة:٥٤) أشار المصطفى ﷺ إلى أبي موسى رضي الله عنه وقال : « **قَوْمُ هَذَا** »[2]؛ فوعد الله ـ عزَّ ثناؤه وجلَّ ـ شيئًا معلقًا بشيء ، وخصَّ[3] النبي المصطفى ﷺ به قوم أبي موسى ، فكان خبره حقًّا ، ووعد الله صدقًا .

وحين خرج رسول الله ﷺ من بين أمته وقبضه الله عز وجل إلى رحمته ارتد ناس من العرب ، فجاهدهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه بأصحاب رسول الله ﷺ منهم أبو موسى وقومه ، حتى عاد أهل الردة إلى الإسلام كما وعد رب الأنام .

وحين كثرت المبتدعة في هذه الأمة وتركوا ظاهر الكتاب والسُّنة ، وأنكروا ما ورد به من صفات الله عز وجل نحو : الحياة والقدرة والعلم والمشيئة والسمع والبصر والكلام ، وجحدوا ما دلاَّ عليه من المعراج وعذاب القبر والميزان ، وأن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن أهل الإيمان يخرجون من النيران ، وما لنبينا ﷺ من

---

(١) أخرجه أبو داود في « الْمَلاحِمِ » ، باب : « مَا يُذْكَرُ فِي قَرْنِ الْمِائَةِ » ، ح(٣٧٤٠) ، وقد صححه الألباني في « صحيح سنن أبي داود » ، ح(٤٢٩١) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف »، (٥٢٥/٧)، والطبراني في « الكبير »، (٣٤٧/١٢)، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة »، (٣٠١/١٥)، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد »، (٣٧٩/٦) : « رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح »، وصححه الألباني في « السلسلة الصحيحة »، ح(٣٣٦٨).

(٣) في الأصل : « حص » .

الحوض والشفاعة ، وما لأهل الجنة من الرؤية ، وأن الخلفاء الأربعة كانوا محقين فيما قاموا به من الولاية ، وزعموا أن شيئًا من ذلك لا يستقيم على العقل ، ولا يصح في الرأي ، أخرج الله ﷻ من نسل أبي موسى الأشعري ﷺ إمامًا قام بنصرة دين الله ، وجاهد بلسانه وبيانه من صد عن سبيل الله ، وزاد في التبيين لأهل اليقين أنّ ما جاء به الكتاب والسُّنة وما كان عليه سلف هذه الأمة مستقيم على العقول الصحيحة والآراء ، تصديقًا لقوله وتحقيقًا لتخصيص رسوله ﷺ قوم أبي موسى بقوله : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (المائدة:٥٤).

هذا ، والكلام في علم الأصول وحدث العالم ميراث أبي الحسن الأشعري عن أجداده وأعمامه الذين قدموا على رسول الله ﷺ ؛ إذ لم يثبت عند أهل العلم بالحديث أن وفدًا من الوفود وفدوا على رسول الله ﷺ فسألوه عن علم الأصول وحدث العالم إلا وفد الأشعريين من أهل اليمن .

ثم ذكر حديث عمران بن الحصين حين أتاه نفر من بني تميم ، وقد ذكرته في الجزء الأول بإسناده[1].

ثم قال : فمن تأمل هذه الأحاديث ، وعرف مذهب شيخنا أبي الحسن ﷺ في علم الأصول ، وعلم تبحره فيه أبصر صنع الله ـ عزت قدرته ـ في تقديم هذا الأصل الشريف ، لما ذخر لعباده من هذا الفرع المنيف[2] الذي أحيا به السُّنة ، وأمات به البدعة ، وجعله خلف حق لسلف صدق ، وبالله التوفيق .

---

(١) أخرج البخاريُّ في «بَدْءِ الْخَلْقِ» ، باب : «مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ ـ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (الروم:٢٧)» ، ح(٢٩٥٣) ، من طريق عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ : «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ» ، قَالُوا : قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ : «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ» ؛ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ ، قَالُوا : قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالُوا : جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ ، قَالَ : «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ» ، فَنَادَى مُنَادٍ : ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا ابْنَ الْحُصَيْنِ ، فَانْطَلَقْتُ فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ ، فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا .

(٢) «نافَ الشيءُ نوْفًا : ارتفع وأشْرف . وفي حديث عائشة تصف أباها ـ رضي الله عنهما : ذاك طَوْد مُنيفٌ ، أي : عالٍ مُشْرِف» [لسان العرب ، مادة (نوف)] .

هذا ، وعلماء هذه الأمة من أهل السُّنة والجماعة في الاشتغال بالعلم مع الاتفاق في أصول الدين على أضرب :

منهم : مَنْ قصر همته على التفقه في الدين بدلائله وحججه من التفسير والحديث والإجماع والقياس ، دون التبحر في دلائل الأصول .

ومنهم : مَنْ قصر همته على التبحر في دلائل الأصول دون التبحر في دلائل الفقه .

ومنهم : مَنْ جعل همته فيهما جميعًا كما فعل الأشعريون من أهل اليمن ؛ حيث قالوا لرسول الله ﷺ : أتيناك لنتفقه في الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر كيف كان[1] .

وفي ذلك تصديق ما روي عن المصطفى ﷺ : « **اِخْتِلافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ** »[2] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) قال السخاوي في « المقاصد الحسنة » ، ص(٦٩-٧٠) : « البيهقي في « المدخل » من حديث سليمان بن أبي كريمة ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله : « **مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به ، لا عذر لأحد في تركه ، فإن لم يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية ، فإن لم تكن سنة مني فما قال أصحابي ، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيما أخذتم به اهتديتم ، واختلاف أصحابي لكم رحمة** » .

ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني والديلمي في مسنده بلفظه سواء ، وجويبر ضعيف جدًا ، والضحاك عن ابن عباس منقطع . وقد عزاه الزركشي إلى كتاب « الحجة » لنصر المقدسي مرفوعًا من غير بيان لسنده ولا صحابيه ، وكذا عزاه العراقي لآدم بن أبي إياس في كتاب « العلم والحكم » بدون بيان بلفظ : « **اختلاف أصحابي رحمة لأمتي** » قال : وهو مرسل ضعيف ، وبهذا اللفظ ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية بغير إسناد ، وفي المدخل له من حديث سفيان ، عن أفلح بن حميد ، عن القاسم بن محمد قال : « **اختلاف أصحاب محمد رحمة لعباد الله** » .

ومن حديث قتادة أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : ما سرني لو أن أصحاب محمد لم يختلفوا ؛ لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة .

ومن حديث الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد قال : أهل العلم أهل توسعة ، وما برح المفتون يختلفون فيحل هذا ويحرم هذا ، فلا يعيب هذا على هذا إذا علم هذا .

وقد قرأت بخط شيخنا : إنه يعني هذا الحديث حديث مشهور على الألسنة ، وقد أورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث القياس بلفظ : « **اختلاف أمتي رحمة للناس** » ، وكثر السؤال عنه ، وزعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له ، لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث ==

كما سمعت من الشيخ الإمام أبي الفتح ناصر بن الحسن العمري قال : سمعت الشيخ الإمام أبا بكر القفال المروزي ـ رحمه الله ـ يقول : معناه اختلاف هممهم رحمة ، يعني : فهمة واحد تكون في الفقه ، وهمة آخر تكون في الكلام ، كما تختلف همم أصحاب الحِرف في حِرفهم ؛ ليقوم كل واحد منهم بما فيه مصالح العباد والبلاد ، ثم كل من جعل همته في معرفة دلائل الفقه وحججه لم ينكر في نفسه ما ذهب إليه أهل الأصول منهم ، بل ذهب في اعتقاد المذهب مذهبهم بأقل ما دله على صحته من الحجج ، إلا أنه رأى أن اشتغاله بذلك أنفع وأولى .

ومن صرف همته منهم إلى معرفة دلائل الأصول وحججه ذهب في الفروع مذهب أحد الأئمة الذين سميناهم من فقهاء الأمصار ، إلا أنه رأى أن اشتغاله بذلك عند ظهور البدع أنفع وأحرى .

فعلماء السُّنة ـ إذن ـ مجتمعون والأشعريون منهم لجماعتهم في علم الأصول موافقون ، إلا أن الله ـ جلَّ ثناؤه ـ جعل استقامة أحوالهم باستقامة ولاتهم ، وسلامة أعراضهم[1] بذب ولاتهم عنهم ، وبذلك أخبر من جعل الله ـ تعالى ـ الحق على لسانه وقلبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، وذلك فيما أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ، أنا أبو عمرو بن السماك ، أنا حنبل بن إسحاق ، أنا أبو نعيم ، أنا مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : قال عمر ﷺ عند موته : « اعلموا أن الناس لن يزالوا بخير ما استقامت لهم ولاتهم وهداتهم »[2] .

وقال أبو حازم ـ ما أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن ، أنا حاجب بن أحمد ، نا محمد بن حماد ، حدثنا أبو ضمرة أنس بن عياض قال : سمعت أبا حازم يقول :

==مستطردًا وقال : اعترض على هذا الحديث رجلان أحدهما ماجن والآخر ملحد ، وهما إسحاق الموصلي وعمرو بن بحر الجاحظ وقالا جميعًا : لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابًا ، ثم تشاغل الخطابي برد هذا الكلام ، ولم يقع في كلامه شفاء في عزو الحديث ، ولكنه أشعر بأن له أصلاً عنده ، ثم ذكر شيخنا شيئًا مما تقدم في عزوه » ، وقال الألباني في « سلسلة الأحاديث الضعيفة » (١/١٣٤) : « لا أصل له ، ولقد جهد المحدثون في أن يقفوا له على سند فلم يوفقوا . . » .

(١) في الأصل : « أغراضهم » .

(٢) أخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » ، (٨/١٦٢) ، و« شعب الإيمان » ، (١٥/٤٩١) .

لا يزال الناس بخير ما لم تقع[1] هذه الأهواء في السلطان ، هم الذين يذبون عن الناس ، فإذا وقعت فيهم فمن يذب عنهم .

وأخبرنا بهاتين الحكايتين أبو القاسم الشحامي ، أنا أبو بكر البيهقي مثل ما ههنا .

ثم رجعنا إلى رواية أبي بكر بن حبيب .

نسأل الله ﷻ عصمة الأمير ، وإطالة بقائه ، وإدامة نعمائه ، وزيادة توفيقه لإحياء السنة بتقريب أهلها من مجلسه ، وقمع البدعة بتبعيد أهلها من حضرته ، ليكثر سرور أهل السنة والجماعة من الفريقين جميعًا بمكانه ، وينتشر صالح دعواتهم له في مشارق الأرض ومغاربها بإحسانه ، ويرغب إلى الله ﷻ ويتضرع إلى ما في إمتاع المسلمين ببقاء الشيخ العميد ، وإدامة نعمته ، وزيادة توفيقه وعصمته .

فعلى حسن اعتقاده وصحة دينه وقوة يقينه وكمال عقله وكبر محله اعتماد الكافة في استدراك ما وقع من هذه الواقعة ، التي هي لمعالم الدين خافضة ، ولآثار البدع رافعة ، ومصيبتها ـ إن دامت والعياذ بالله ـ في كل مصر من أمصار المسلمين داخلة ، وقلوب أهل السنة والجماعة بها واجفة ، وما ذلك على الله بعزيز أن يوفق الشيخ العميد ـ أدام الله تسديده للاجتهاد ـ في إزالة هذه الفتنة ، والسعي في إطفاء هذه الثائرة ، موقنًا بما يتبعه في دنياه من الثناء الجميل ، وفي عقباه من الأجر الجزيل ، قاضيًا حق هذه الدولة العالية التي جعل الله تدبيرها إليه[2] ، وزمامها بيديه ، فبقاء الملك بالعدل ، وصلاحه بصلاح الدين ، وحلاوته بما يتبعه من الثناء الجميل ، والله يوفقه ويسدده ، وعن المكاره يقيه ويحفظه .

والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

* * *

---

(١) في الأصل : « يقع ».

(٢) في الأصل : « إليّ ».

obeikandl.com

زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري
للشيخ الإمام ضياء الدين أبو العباس أحمد
ابن محمد بن عمر بن يوسف بن عمر بن عبد المنعم القرطبي

وهذه الرسالة صنفها الشيخ الإمام العلامة ضياء الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن عمر بن عبد المنعم القرطبي[1] ، وقد وقع في عصره من بعض المبتدعة هجوٌ في أبي الحسن ، فألفها ردًّا على الهاجي المذكور ، وبعث بها إلى شيخ الإسلام تقي الدين أبي الفتح بن دقيق العيد[2] إمام أهل السُّنة ، وقد كانت بينهما صداقة ليقف عليها فوقف عليها وقرظها بما سنحكيه بعد الانتهاء منها ، وهي :

أسير الهوى ضلت خطاك عن القصد ... فها أنت لا تُهدى لخير ولا تهدي
سللتَ حسامًا من لسانك كاذبًا ... على عالم الإسلام والعَلَم الفرد
تمرستَ في أعراض بيت مقدَّس ... رمى الله منك الثغر بالحجر الصلد
ضلالك والغي اللذان تألفا ... هما أورداك الفحش من مورد عد[3]

---

(١) لم أجد له ترجمة إلا ما ذكره عمر كحالة عنه بقوله : «أحمد القرطبي [٠٠٠-٦٧٢هـ = ٠٠٠-١٢٧٢م] أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن عمر بن عبد المنعم القرطبي (ضياء الدين ، أبو العباس) متكلم .
من تصانيفه : زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري» [معجم المؤلفين ، (١٤١/٢)] .

(٢) ابن دقيق العيد [٦٢٥-٧٠٢هـ= ١٢٢٨-١٣٠٢م] : الإمام الفقيه الحافظ المحدث العلامة المجتهد شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المنفلوطي ، ولد في شعبان سنة ٦٢٥هـ ، وحدث عنه عدة ، وكان واسع العلم وقورًا ، ولي قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥هـ ، فاستمر إلى أن توفي بالقاهرة في صفر سنة ٧٠٢هـ . [انظر : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل : طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ ، ص(٥١٦) ، والأعلام ، (٢٨٣/٦)] .

(٣) العِدُّ بالكسر : الماء الجاري الدائم الذي له مادة لا تنقطع ، كماءِ العَيْنِ وَالبئرِ ، والجمع : الأعْدادُ ، والعِدُّ أيضًا : الكثرة في الشيء . [انظر : الصحاح وتاج العروس ، مادة (عدد)] .

هما أسخنا عين الديانة والهدى ... بما نثرا من ذم واسطة العقد
هما أضرما نارًا بهجوك سيدًا ... ستصلى بها نارًا مسعرة الوقد
وما أنت والأنساب تقطع وصلها ... وما أنت فيها من سعيد ولا سعد[1]
خطوتَ إلى عرض كريم مطهّر ... أرى الله ذاك الخطو جامعة القد
أيا جاهلاً لم يدر جهلاً بجهله ... أتعلو ثغور القاع في قُنن[2] المجد
لقد طُفئت نارُ الهوى من علومكم ... إليَّ لتقدح نار هديك[3] من زندي
أصخ لصريخ الحق فالحق واضح ... فلم لا تصخ أصميت سمعًا عن الرعد
وطهِّر عن الإضلال ثوبك إنه ... لأدنس مما مسه وضر[4] الزند
فيا قعديًّا عن معالي أولي النهى ... ويا قائمًا بالجهل ضدان في ضد
أفق من ضلال ظَلْتَ توضع نحوه ... وتسرع إسراع المطهمة[5] الجرد[6]

---

(١) سعد وسعيد : هما ابنا «ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، وكان له ابنان يقال لأحدهما سعد ، وللآخر سعيد ، فنفرت إبل لضبة تحت الليل فوجه ابنيه في طلبها فتفرقا فوجدها سعد فردها ، ومضى سعيد في طلبها فلقيه الحارث بن كعب ، وكان على الغلام بردان ، فسأله الحارث إياهما فأبى عليه ، فقتله ، وأخذ برديه ، فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سوادًا قال : أسعد أم سعيد ، فذهب قوله مثلاً يضرب في النجاح والخيبة ، فمكث ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم إنه حج فوافى عكاظ فلقي بها الحارث بن كعب ، ورأى عليه بردي ابنه سعيد ، فعرفهما ، فقال له : هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال : بلى ، لقيت غلامًا وهما عليه ، فسألته إياهما فأبى عليَّ فقتلته ، وأخذت برديه هذين . فقال ضبة : بسيفك هذا؟ قال : نعم . فقال : فأعطنيه أنظر إليه فإني أظنه صارمًا . فأعطاه الحارث سيفه ، فلما أخذه من يده هزه وقال : الحديث ذو شجون ، ثم ضربه به حتى قتله ، فقيل له : يا ضبة ، أفي الشهر الحرام؟ فقال : سبق السيف العذل» [أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري : مجمع الأمثال ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، (١٩٧/١-١٩٨)] .

(٢) «قُنَّةُ الجبل : أعلاه ، والجمع القُنَن» [لسان العرب ، مادة (قنن)] .

(٣) في الأصل : «هذبك».

(٤) «الوَضَرُ : وَسَخُ الدَّسَمِ واللَّبَنِ ، وغُسالةُ السِّقاءِ والقَصْعةِ ونحوِها» [العين ، مادة (وضر)].

(٥) «المُطَهَّمُ من الناس والخيلِ : الحَسَنُ التامُّ كلَّ شيء منه على حِدته ، فهو بارِعُ الجمالِ ، والمُطَهَّمُ الناعِمُ الحسَنُ ، والرَّجيلُ الشديدُ المشْي» [لسان العرب ، مادة (طهم)].

(٦) «الأجرَدُ من الخيل والذَّوابِّ : القصير الشعر حتى يذل : إنه لأجرَدُ القوائم ، أي : قصير شعر القوائم» [العين ، مادة (جرد)].

وضـــحٍ رويـــدًا[1] إن دون إمامنـــا سيوف علـوم سـلّها الله مـن غمـد
لأيدي شـيوخ حنكتـهم يـد الهـدى وأيدي كهـول في غطارفـة[2] مُـرد[3]
يصـولون بـالعلم المؤيَّـد بـالتقى وقد لبسوا درع الهدى محكم السَّـرد[4]
إذا بـرزوا يـوم الجـدال تخـالهم أسود شرىً[5] لا بل أجلّ مـن الأُسـد
وإن نطقـوا مـدت يـد الله سـرهم بما سرهم في الدين يـا لـك مـن مـد
هـم أوردونـا أبحـرًا مـن علـومهم مفجّـرة مـن غـير جـزر ولا مـد
هم القوم فاحطط رحْل دينـك عنـدهم لتنشـد ديـن الله في مـوطن النشـد
يجيئـون إن جـاءوا بآيـات ربهـم وتأتيهمُ إن جئـت بـالآي عـن مـرد
لشتان مـا بـين الفـريقين في الهـدى كشتان ما بـين اليزيـدين في الرفـد[6]
ضللتم عـن التقـوى وظلّـل هـديها علينـا بفـيء وارف الظـل والـبرد

---

(١) «ضح رويدًا ، أي : ترفق ولا تعجل ، وأصله أن الأعراب في باديتها تسير بالظعن فإذا عثرت على لمع من العشب قالت ذلك ، وغرضها أن يرعى الإبل للضحى قليلاً قليلاً وهى سائرة ، حتى إذا بلغت مقصدها شبعت ، فلما كان من الترفق في هذا توسعوا فقالوا في كل موضع : ضح ، بمعنى : ارفق ، والأصل ذاك» [المستقصى في أمثال العرب ، (٢/١٤٥)] .

(٢) «الغِطْريف والغُطارف : السيد الشريف السخِيّ الكثير الخير . وقيل : الغِطْريف : الفتى الجميل» [لسان العرب ، مادة (غطرف)] .

(٣) «المَرَدُ : نَقاءُ الخدين من الشعر ، والأَمْرَدُ : الشابُّ الذي بلغَ خروج لِحْيته وطَرَّ شاربه ولم تبد لحيته» [السابق ، مادة (مرد)] .

(٤) «السَّرْدُ في اللغة : تَقْدِمَةُ شيء إلى شيء تأْتي به متَّسقًا بعضُه في أثر بعض متتابعًا ، والسَّرَد : اسم جامع للدروع وسائر الحَلَق وما أَشبهها من عمل الخلق ، وسمي سَرْدًا ؛ لأنه يُسْرَد فيثقب طرفا كل حلقة بالمسمار» [السابق ، مادة (سرد)] .

(٥) «الشَّرى : موضعٌ تُنْسب إليه الأُسْدُ . يقال للشُّجْعان : ما هُمْ إلا أُسودُ الشَّرى . قال بعضهم : شَرى موضع بعَيْنه تأْوي إليه الأُسْدُ ، وقيل : هو شَرى الفُراتِ وناحِيَتُه ، وبه غِياضٌ وآجامٌ ومَأْسَدَةٌ . والشَّرى : طريقٌ في سَلْمى كثير الأُسْدِ» [السابق ، مادة (شري)] .

(٦) البيت مقتبس من شعر ربيعة الرقي ، شاعر عباسي ، من أبيات يمدح بها يزيدَ بنَ حاتم بن قَبِيصة ابن المُهَلَّب ، ويهجو يزيدَ بنَ أُسَيْدٍ السُّلَمِيّ ، منها :

لشَـتّانَ مـا بَـينَ اليَزيـدَين في النَّـدى يَزيـدِ سُـلَيمٍ وَالأَغَـرَّ ابـنِ حـاتِمِ
يَزيـدُ سُـلَيمٍ سـالَمَ المـالَ وَالفَـتى أَخـو الأَزدِ لِلأَمـوالِ غَـيرُ مُسـالِمِ
فَهَـمُّ الفَـتى الأَزدِيّ إِتـلافُ مالِـه وَهَـمُّ الفَـتى القَيسِـيِّ جَمعُ الدَّراهِمِ

فنحن بـهـا في روضـة مـن هدايـة ... مفتَّحـة الأزهـار فائحـة الـورد
تـميس[1] بها أعطافنا ثـني[2] حلـة ... خلوقيـة الأردان[3] سـابغة البُـرد
نشـاهده حسـنًا ونجنيـه طيِّبًـا ... ونشرب كأس الفضل من غير ما جُهد
وراءك عـن هـذا المحـل فإنـه ... محل جـلال لسـت منـه علـى حـد
ودونك فـالبس بُـرد جهلـك مائسًـا ... بعطفيك في الإغواء يا عابـد[4] البـد[5]
فإن كنـت بالتجسـيم دنـت فعنـدنا ... أسـنّة علـم في مثقفـة[6] صـلد[7]
زعمـت بـأن الله شـيء مجسـم ... تبيّن رويـدًا مـا أُمامـة مـن هنـد[8]
فـإن كـان مسـلوبَ انتـهاء جعلتـه ... بقـاذورة الأجسـاد والميْـت واللحـد

---

(١) «المَيْس : التَبَخْتُر ، ماسَ يَمِيسُ ميسْ ومَيَسانًا : تَبَخْتَر واخْتالَ . وغصن ميَّاسٌ : مائلٌ . وقال الليث : المَيْسُ ضَرْب من المَيَسانِ في تَبَخْتُرٍ وتَهادٍ كما تَمِيس العَروس والجمَل» [لسان العرب ، مادة (ميس)].

(٢) «الثِنْيُ : واحد أَثْناءِ الشيءِ ، أي : تضاعيفه . تقول : أنفذتُ كذا في ثِني كتابي ، أي : في طيِّه» [الصحاح ، مادة (ثني)] .

(٣) «الخَلُوق ، والخِلاق ، كصَبُور وكِتاب : ضَرْبٌ من الطِّيب يُتَّخَذُ من الزَّعْفَران وغيره ، وتَغْلِبُ عليه الحُمْرَةُ والصُّفْرَة»[تاج العروس ، مادة (خلق)] . و«الرُّدْنُ ، بالضم : أَصل الكُمّ . يقال : قميص واسع الرُّدْن . ابن سيده : الرُّدْن مقدّم كمّ القميص ، وقيل : هو أَسفله ، وقيل : هو الكمّ كله ، والجمع أَرْدانٌ وأَرْدِنَة» [لسان العرب ، مادة (ردن)] .

(٤) في الأصل : «عبد» ، ولا يستقيم معها الوزن .

(٥) «البُدُّ : الصنم ، فارسيٌّ معرب ؛ والجمع البِدَدَة» [الصحاح ، مادة (بدد)] .

(٦) «الثِّقافُ : حديدة تكون مع القَوَّاسِ والرَّمّاحِ يُقَوِّمُ بها الشيءَ المُعْوَجَّ» [لسان العرب ، مادة (ثقف)] .

(٧) «الصَّلْدُ ، بالفتح ، ويُكْسَر : الصُّلْبُ الأَمْلَسُ» [تاج العروس ، مادة (صلد)] .

(٨) «(تَبَيَّنْ رُوَيْدًا ما أُمامةُ مِنْ هِنْد) : أصله أن عمرو بن هند غزا اليمامة فأخفق فمر بطيئ ـ وكان بينه وبينهم عهد ـ فقتل منه زرارة بن عدس في الذروة والغارب حتى أغار عليهم ، فهجاه عارق الطائي ، ونسبه إلى الغدر ، فأوعده عمرو فقال :

مَـنْ مُبْـلِـغٌ عمْـرَو بـنَ هِنْـدٍ رِسـالَةً ... إذَا اسْتَحَقَبْتَها العِـيسُ تُنْضَـى مِـنَ البُعْـد
أيوعِـدُني والرَّمْـلُ بيـنـي وبيـنـه ... تبـيَّنْ رُوَيْـدًا مَـا أُمامَـةُ مِـنْ هِنْـد

أي : انظر برفق حتى ترى ما بين أمي وأمك من التباين ، يريد أن أمه أمامة أفضل من هند أم عمرو : مثلٌ يضرب في التفاضل بين الشيئين» [المستقصى في أمثال العرب ، (٢/١٨-١٩)] .

وفي الكلب والخنزير والـوزغ[1] والهبـا ... وفي مثل هذا النوع يـا واجـب القـد
وفي البق والبُرغـوث والـذرّ والـذي ... أجـلّ وأدنى منـه في القـد والعـد
وفي حشرات الأرض والترب والحصـى ... ضلالة ما روّاكه شـيخك النجـدي[2]
وفي سائر الموجود يـا أخبـث الـورى ... مقـالاً تعـالى الله يـا نـاقض العهـد
وإن كـان لا سـلب انتـهاء جعلتـه ... أقلّ من المخلـوق في زعمـك المـردي
وقلتَ إلـه العـرش في العـرش كونـه ... وأنى لمحـدود بمـن جـلّ عـن حـد
فحدّدته مـن حيـث أنكـرت حـده ... ويلزمك التخصيص في العمـق والقـد
ويلـزم أن الله مخلـوقُ خـالق ... لقد جئت في الإسـلام بالمعضـل الأد[3]
وقلـتَ لـذات الله وصـفُ تنقُّـل ... وحالـة قُـرْب عاقَبَـتْ حالـة البُعـد
وخيّلـتَ ذات الله في أعـين الـورى ... لمحسوسة الأجسام أخطأت عـن عمـد
وحـدّدت تكييفًـا وكيّفـت جـاهلاً ... أقسْتَ على حاليك في العكس والطـرد
وأنكـرت تشـبيهًا وشـبّهت لازمًـا ... وأثبتَّ ضد العقـلِ في منتفـى الضـد
حللتَ عرى الإسلام من عقـدك الـذي ... تدين فجـاء الحـلُّ مـن قبـل العقـد
وزيّفـت في نقـد اعتقـادك فاغتـدى ... وقد جاء زيف الدين مـن قبَـل النقـد
سللتَ حسام الغـي في غمـدك الهـدى ... فسـلّك مـن ديـن الهدايـة بالغمـد
بنيـتَ ضـلالاً إذ هـددت شـريعة ... فأسّسـتَ بنيـان الضـلالة بالهـدّ

---

(١) «الوزغة : سام أبرص ، والجمع : وزغ ، ووزغان ، وإزغان ، على البدل» [المحكم والمحيط الأعظم ، مادة (وزغ)] .

(٢) الشَّيخ النَّجْدِيُّ يُكْنَى به عن الشَّيطانِ ؛ لأنه لما أجمع المشركون «واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ غدوا في اليوم الذي اتعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى «يوم الزحمة» ، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل عليه بتلة ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفًا على بابها قالوا : من الشيخ؟ قال : شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له ، فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى ألا يعدمكم منه رأيًا ونصحًا قالوا : أجل فادخل فدخل معهم . . . » [ابن هشام : السيرة النبوية ، (١/٤٨٠-٤٨١)] .

(٣) «أمرٌ مُعْضِلٌ : لا يُهْتَدى لوجهه . والمُعْضِلات : الشدائد» [الصحاح ، مادة (عضل)] .
و«الإِدُّ والإِدَّةُ بكسرهما : العَجَبُ والأمرُ الفظيعُ العظيم والدَّاهِيَة . والأَمْرُ المُنْكَر ، كالأَدّ ، بالفتح» [تاج العروس ، مادة (أدد)] .

مـــددتَ لســـانًا للإمـــام فقصّـــرت ... يد الرشد فالتقصير مـــن جانـــب المـــد
كذا عن طريق الدين يا أخفش[1] الهـــدى ... وصرّحْ بما تُخفي عن الدين مـــن ضـــد
فقد وضحتْ آثـــار غيِّـــك في الـــورى ... كما وضحتْ في ســـوأة خصـــيتا قـــرد
بتبيين هـــذا الحـــبر مـــن نـــور علمـــه ... دجى عقلك الهاوي وأقوالـــك الرُّبـــد[2]
فـــردَّ معانيـــك الخبيثـــة علمُـــه ... وغادرها في الجهـــل صـــاغرة[3] الخـــد
وســـلّ حســـامًا مـــن بيـــان فهومـــه ... فردّ ســـيوف الغـــي مفلولـــة[4] الحـــد
وأبدى علومًـــا ميـــزتْ فضـــلَ فضـــله ... كتمييز ذي البُردين والفـــرس الـــورد[5]
فجاءت مجيء الصبح والصـــبحُ واضـــحٌ ... وسارت مسير الشمس والشمسُ في السعد[6]
وفاضت ففاضت أنفـــسٌ مـــن عداتـــه ... وغاضت وما غاضت على كثرة الـــورد
وآضت[7] رياض العلم مطلولة[8] الثرى ... بسحٍّ غمام الفضـــل منســـكب العهـــد
وجادت بنشر الـــدين في عـــالم الهـــدى ... فجاءت بنشر[9] لا العَرار[10] ولا الرَّند[11]

---

(١) «رجل أخفش ، وبه خفش وهو : صغر العينين وضعف البصر» [أساس البلاغة ، مادة (خفش)] .

(٢) «الرُّبْدَة بالضّمّ الغُبْرَة ، أَو لَونٌ إلى الغُبْرَةِ ، وقال أَبو عُبَيْدَةَ : هو لَوْنٌ بين السَّوادِ والغُبْرة» [تاج العروس ، مادة (ربد)] .

(٣) «الصَّغار : الذل والضَّيْمُ ، ينال : صَغِرَ فلان يَصْغَرُ صَغَرًا وصَغارًا ، فهو صاغِر إذا رَضِيَ بالضَّيْم وأَقَرَّ بِهِ» [لسان العرب ، مادة (صغر)] .

(٤) «الفلُّ بالفتح : واحد فُلول السيف ، وهي كسورٌ في حدّه» [السابق ، مادة (فلل)] .

(٥) الوَرْدُ من الخَيْلِ : بَيْنَ الكُمَيْتِ والأَشْقَرِ ، سُمِّيَ به لِلَوْنِهِ ، والوَرْدُ : لَوْنٌ أَحْمَرُ يَضْرِب إلى صُفْرَةٍ حَسَنَةٍ في كُلِّ شَيْءٍ . [انظر : لسان العرب ، مادة (ورد)] .

(٦) «السُّعُد والسُّعود : كلاهما سعود النجوم ، وهي الكواكب التي يقال لها لكل واحد منها سَعْد كذا ، وهي عشرة أَنجم كل واحد منها سعد» [السابق ، مادة (سعد)] .

(٧) «الأَيْضُ : العَوْدُ إلى الشَّيْءِ ، آضَ يَئِيضُ أَيْضًا : عادَ . الأَيْضُ : الرُّجوعُ : يُقَال : آضَ فُلانٌ إلى أَهْلِه ، أَي : رَجَعَ إِلَيْهم» [تاج العروس ، مادة (أيض)] .

(٨) «الطَّلُّ : أَخَفُّ المطر وأَضعفه . وطُلَّت الأَرضُ طَلاًّ : أَصابها الطَّلُّ ، وطَلَت فهي طَلَّةٌ : نَدِيَتْ ، وطَلَّها النَّدى ، فهي مطلولةٌ» [لسان العرب ، مادة (طلل)] .

(٩) «النَّشْرُ : الرائحة الطيِّبة» [الصحاح ، مادة (نشر)] .

(١٠) «العرار : نبات طيب الرائحة . الواحدة عرارة» [المعجم الوسيط ، ص(٦١٣)] .

(١١) «الرَّنْدُ : شجرٌ بالبادية طَيِّبُ الرائحةِ يستاك به» [تاج العروس ، مادة (رند)] .

من الحكَم اللاتي تضـوّع[1] عَرفهـا[2] فعـدّ عـن الـوَرد المضـاعف والنـد
سللن سيوف الحـق في مـوطن الهـدى فغادرن صـرعى الملحـدين بـلا لحـد
وأيـدن ديـن الله في أفـق العـلا بلا منصل عضب[3] ولا فـرس نهـد[4]
وشـيّدن أعـلام الحقـائق في الـورى فلله منـها مـن نُجـنّ ومـا نُبـدي
ومجّـدن ذات الله تمجيـد عـالم بمـا يسـتحق الله مـن صـفة المجـد
وكـذّبن دعـوى كـل غـاو مجسـم بما رد مـن قـول لـه واجـب الـرد
وأمضين حكم النقل والعقـل فـاحتوى كلام إمـام الحـق مجـدًا علـى مجـد
معـان إذا جاشـت ميـادين فضـلها أخـذن بأعنـاق الأنـام إلى الرشـد
وإن كنـت عـدليًا يحكّـم عقلـه بردٍّ مراد الله عـن بعـض مـا قصـد
وإمضاء ما يختـاره العبـد مـن هـوى فحكم إلـه العبـد دون هـوى العبـد
وتجحـد تشـفيع الرسـول وأنـه يُرى الله يوم الحشر أفٌّ لـذي الجحـد
وتنفـي صـفات الله جـل جلالـه وتـزعم أن الآي محدثـة العهـد
وتُلـزم إيجابًـا علـى الله فعلـه لأصلح ما يُرضي وأفضل مـا يُجـدي
فجانَـبَ هـاتين الطـريقين علمـه كما جانَبَ القيسي في النسـب الأزدي
وقـال بإثبـات الصـفات وذاتهـا وسلب صفات النفس عن صـمد فـرد
فمَن موجـبٌ يومًـا علـى الله حكمـه ومن ذا الـذي يحـتج إن هـو لم يهـد
ومن ذا الـذي عن قهـر عزتـه يُحـدي ومن ذا الذي يقضـي بغـير قضـائه
وهل حـاكم في الخـير والشـر غـيره إذا شـاء أمـرًا لم تـردْه[5] يـدًا ردّ
هـو الله لا أيـن ولا كيـف عنـده ولا حـدَّ يحويـه ولا حصـر ذي حـدّ
ولا القرب في الأدنى ولا البعدُ والنـوى يخالف حـالاً منـه في القـرب والبُعـد

---

(١) «ضاعَ المِسْكُ وتَضَوَّعَ وتَضَيَّعَ ، أي : تحرَّك وانتشرت رائحته» [الصحاح ، مادة (ضوع)] .

(٢) «العَرْف : الرِّيح ، طيِّبة كانت أو خبيثة ، يقال : ما أَطْيَبَ عَرْفَه ، وعَرَّفَه : طَيَّبَه وزَيَّنَه ، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ (محمد:٦)، أي : طَيَّبها» [لسان العرب ، مادة (عرف)].

(٣) «النَصْل : نَصْل السهم والسيفِ والسكِّين والرُمح . والجمع نُصولٌ ونِصالٌ . والمُنْصُل والمُنْصَل : السيف» [الصحاح ، مادة (نصل)]. و«العَضْب : السيف القاطع . عَضَبَهُ يَعْضِبُهُ عَضْبًا ، أي : قطعه» [العين ، مادة (عضب)] .

(٤) «النهْدُ : الفرس الضخْمُ القويُّ ، والأُنثى نَهْدةٌ» [لسان العرب ، مادة (نهد)].

(٥) جاءت الدال ساكنة للوزن ، وإلا فحقها التشديد .

فمن قبل قبل القبل كان وبعده ... يكون بلا حصر لقبل ولا بعد
تنزه عن إثبات جسم وسلبه ... صفات كمال فاقف رسميَ أو حدّي
تبارك ما يقضيه يَمضي وما يشا ... يكون بلا بدء عليه ولا بد
تقدّس موصوفًا وعزّ منزّهًا ... وجلّ عن الأغيار منسلب الفقد
هو الواجب الأوصاف والذات فاطّرح ... سواها من الأقوال فهْي التي تُردي
هو الحق لا شيءٌ سواه فمن يزغ ... ضلالاً فإنا لا نزيغ عن القصد
هو الفاعل المختار ليس بموجَب ... لشيء من المخلوق في أنفس الفرد
وليس إلهُ الخلق علة خلقه ... ولكنّ فعل الله علّيّة الوُجْد
ولا نسبةٌ بين العباد وبينَه ... وهل علةٌ إلا مناسبةٌ تُجدي
هو الواصل النّعّاب[1] لطفًا بضعفه ... على فقده من أمه صلة الوُجد
هو الخالق الأشباحَ في ظُلَم الحَشا ... هو الكافل الطفل الرضيع لدى المهد
أدرَّ له من جلدتين لبانه ... ولولاه لم يُسق اللّبان من الجلد
فهذي فصول من أصول كثيرة ... على قصَر النّظم المقصّر عن قصدي
وإلا ففي أبحاثه وعلومه ... غوامض أسرار تلوح لذي الرُّشد
أيجحد فضل الأشعري موحِّد ... وما زال يُهدي من معانيه ما يُهدي
من الكَلِم اللاتي قصمن بحدِّها ... عُرى باطل الإلحاد كالصارم الهندي
فيا جاحدًا هذا الإمامَ محلّه ... من العلم والإيمان والعَمل المجدي
هي الشمسُ لا تخفى على عين مسلم ... سوى مقلة عمياء أو أعين رُمد
فوالله لولا الأشعري لقادنا ... ضلالكمُ الهادي إلى أسوأ القصد
جزى الله ذاك الحَبر عنّا بفضله ... جزاءً يُرقّيه ذُرى درج الخلد
وحمدًا لربي فهو مُهديه للورى ... ولَلهُ أولى بالجميل وبالحمد

أين حطّت مطايا هذا الجاهل الغبي ، والمبطل الغوي ، والملحد البدعي؟

أنخ لي إلى مَغناه يا بارقَ الهدى ... فقد وقدتْ بين الحشا نارُ هجره
وصلني بتعريف محلّ قراره ... لأوصله مني إدامة هجره

---

(١) «النَّعَّابُ : الغُراب ، قيل : إنَّ فَرْخَ الغُراب إذا خَرَجَ من بَيْضِه ، يكون أَبيضَ كالشَّحْمة ، فإذا رآهُ الغُراب أَنكره وتركه ، ولم يَزُقّه ، فيسوق الله إليه البَقَّ ، فيَقَعُ عليه لزُهومة ريحه ، فيَلْقُطُها ويَعيشُ بها إلى أَن يَطْلُع ريشُه ويَسْوَدَّ ، فيُعاوِدَه أَبوه وأُمُّه» [لسان العرب ، مادة (نعب)] .

وأصْليه مـن فكـري بـذاكي ذكائـه أقلّبـه منـه علـى حـرِّ جمـره
وأُهديـه مـن داجـي الضـلال بنيِّـر ينير له عنـدي السُّـرى وجـه فجـره

وإلا فدله عليّ دلالة العصفور على حبة الفخ ، واهده إليّ هداية العادي إلى نصل الجرح ، لا يفهم سهام كلامي إليه ، وأوقد سهام كلامي عليه ، وأفقأ بالنظر باب ناظريه ، وأفك بالبديهيات ماضغيه ، وأقِفه من ثنايا خطاه على شفا جرف هار ، وأجنيه من ردايا خطله شجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ، وأسمه بميسم الصَّغار ، وأغره عن الأسود بن غفار[1] ، وأُعلمه أنه في مذهب أئمة الحق ثاني اثني الكفار إن لم يكن عين الكفار ، وأنتصر للثاوي في جنات الله أشرف الانتصار ، وأوضح له أن له في كل زمان أنصارًا من الأنصار .

إذا أعملـوا أفكـارهم نـاب قولهـا عن السيف يوم الروع تدمى شـفاره
وإن أظلمتْ آفاق خطـب بَـدَوا بـه شمـوس معـان فاسـتبان نـهاره

وأناقش ألفاظه التي باعدها من معانيها ، وأعراضه التي ثوّب بشيطان الضلالة داعيها ، وإشارته التي نعق في فئة الضلالة غاويها .

كما صاح بالمهراس[2] إزب[3] ضـلالة وكـان لـدين الله عاقبـة النصـر

---

(١) يحكى أنه انتشر في «البحرين واليمامة بشر كثير من ولد طسم ، وجديس ، ابني إرم بن سام ، وكانوا من العرب العاربة ، وكان ملكهم رجلاً من طسم ، يسمى عمليقًا ، وكان جائرًا ظلومًا ، وبلغ من عتوه أن أمر ألا تزف امرأة من جديس إلى زوجها إلا بدءوه بها ، فمكثوا بذلك دهرًا طويلاً . وأن رجلاً من جديس تزوج عفيرة بنت غفار أخت الأسود بن غفار عظيم جديس وسيدها ، فلما أرادوا إهداءها أدخلت على الملك ، فافترعها ، ثم خلى سبيلها ، فخرجت إلى قومها في دمائها رافعة ثوبها عن عورتها ، وهي تقول :

أيصـلح مـا يـؤتى إلى فتيـاتكم وأنـتم رجـال ثـورة عـدد النمـل
فلـو أننـا كنـا رجـالاً وكنـتم نسـاء لكنـا لا نقـر علـى الـذل
فبعـدًا لبعـل لـيس فيـه حميـة ويختـال يمشـي مشـية الرجـل الفحـل

فحميت من ذلك جديس ، فاغتالوا عمليقًا ، فقتلوه على غرة ، وأمامهم الأسود بن غفار ، فأبادوا طسمًا» [أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري : الأخبار الطوال ، ص(١٥) باختصار] .

(٢) «المِهْرَاسُ : آلَةُ الهَرْس ، وهو الهَاوُونُ يُهْرَسُ به وفيه الحَبّ» [تاج العروس ، مادة (هرس)] .

(٣) «الإزْبُ : اللئيمُ ، والإزْبُ : القصير الدَّميم . ابن الاعرابي : رجلٌ إزْبٌ حِزْب ، أي : داهِيَةٌ» [الصحاح ، مادة (أزب)] .

وما بـرح الإيمـان في كـل عُصْـرة يُكادُ فهـذا الإرث في آخـر العَصـر

وها أنا أناديه من كثب التبيان بلسان البيان ، وأناجيه من وجوه العلم بمقلة الحسان ، وأقذي عينه من عمه قذاها ، وأغسل فكره من دنس أذاها ، وأرفع له علم إرادة هداها ، فإما رجعة إلى سبيل الرشاد عن غيه ، وإما صرعة على مهاد العنا من بغيه .

واعلم ـ أرشدك الله ـ أن الله وعد محمدًا ﷺ بإظهار دينه على الدين كله ، وضمن له ضمان الحق والصدق في فرع الإيمان وأصله ، فتأمل بعين الإيمان وقلبه ، وأصخ إلى الحق إصاخة مسترشد بربه كيف سير الله في العالَم عِلم هذا العالِم ، واستودعه في المشارق والمعارب قلوب الأعاجم والأعارب ، وعم به المجالس والمدارس ، وأخرس عنه الباغي المناقب ، والحاسد المنافس ، وجرى بذهنه على الإطلاق جري السيل ، وامتد على الآفاق امتداد الليل ، وملأ عرض الأرض ما بين السُّها وسُهيل ، فلا ينطق ذامه إلا همسًا ، ولا يُسمع لكافر في الإعلان جرسًا .

وَالسِّـتْرُ دُونَ الفَاحشـات وَمَـا يَلقـاكَ دُونَ الخَـير مـنْ سـتْر[1]

إنما يتراضعون بغضه تراضع الفئة الفاجرة ، ويتواضعون ذمه تواضع من ذكر الدنيا ونسي الآخرة ، لا يظهرونه إلى الإعلان عن الإسرار[2] ، ولا تنطق به شفاههم إلا كأخي السرار .

ويطوون داء الفضل في نشر جهلـهم فأقبح بذاك الطـي في ذلـك النشـر
هـم سـفّهوا آراءنـا وإمامنـا وموعـدنا والقـومَ مجتمـع الحشـر

ثـم انظـر إلى علمـاء الأمـة الـذين درجـوا في درجـات الإفـادة منـه ، وتخرجـوا بكلمات العلم المنقولة عنه كيف تناقلتهم الأعصار ، وتهادتهم[3] الأمصار ، وطلعـوا في كل أفق طلوع الشمس ، ونسخوا بمحكمـات علـومهم كـل لـبس ، وقضـوا مـن

---

(١) البيت من الكامل ،وهو لزهير بن أبي سلمى في ديوانه من قصيدته التي مطلعها :

لِمَـنِ الـدِيارُ بِقُنَّـةِ الحِجـرِ أَقـوَينَ مِـن حِجَـجٍ وَمِـن شَـهرِ

(٢) في الأصل : « الأسرار » .

(٣) « التَهادي : أن يُهْدِيَ بعضهم إلى بعض » [الصحاح ، مادة (هدي)] .

كشف غوامض الكتاب والسُّنة كل حاجة في النفس، أئمة تُشد إليهم الرحال وتُحط، وعلماء تُدار على أقوالهم معالم الإيمان وتحط، كـ: ابن الباقلاني، والإسفرايني، وإمام الحرمين، وابن العربي، والغزالي، والمادري[1]، وأبو الوليد[2]، والرازي، وغيرهم ممن اختلفت إليه أعناق الرفاق، وملأ بعلمه ظهور الظواهر وبطون الأوراق، وطلع طلوع الشمس في الآفاق، وتوازر على نصره السيف والقلم، وانتشر عنه العلم، وانتشر عليه بالإمامة العلم بما تأصل من أصول هذا الإمام، وتفرّع من فروعه، وتفرّق في أعلام الأمة من مجموعه، وأبانه من نجم هدايته الذي ما أفل من حين طلوعه، وأبداه من دقائق العلم التي دلت على أن روح القُدُس نفث في روعه.

فأطلعها شمسًا أنارت بهديها معالم دين الله واسترشد العُلما
هدتْ مبصرًا في الدين واضح رُشده وضل بها من كان في هذه أعمى

إلى غير ذلك من امتداد باعهم في الإمامة، وكون كل منتسب إلى علم يقع منه موقع القُلامة.

---

(١) لعله «أبو بكر محمد بن محمد بن أحمد بن حزابة بن مادرة الأبريسمي الفقيه الشافعي السمرقندي، أصله من مرو، حدث عن محمد بن صالح الكرابيسي وأحمد بن أبي الفضل البكري وأحمد بن محمد الفقيه الشوذبي السمرقنديين، وعن محمد بن عبد الرحمن الأرزناني الأصبهاني وغيرهم، حدث عنه أبو سعد الإدريسي. مات قبل سنة ستين وثلاثمائة» [علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، (٢/٤٥٨-٤٥٩) باختصار].

(٢) «أبو الوليد الباجي: [٤٠٣-٤٧٤هـ = ١٠١٢-١٠٨١م]: سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، أبو الوليد الباجي: فقيه مالكي كبير، من رجال الحديث، أصله من بطليوس Badajoz ومولده في باجة Beja بالأندلس، رحل إلى الحجاز سنة ٤٢٦هـ، فمكث ثلاثة أعوام، وأقام ببغداد ثلاثة أعوام، وبالموصل عامًا، وفي دمشق وحلب مدة، وعاد إلى الأندلس، فولي القضاء في بعض أنحائها، وتوفي بالمرية Almeria من كتبه: (السراج في علم الحجاج)، و(إحكام الفصول في أحكام الأصول)، و(التسديد إلى معرفة التوحيد)، و(اختلاف الموطآت)، و(شرح فصول الأحكام وبيان ما مضى به العمل من الفقهاء والحكام)، و(الحدود)، و(الإشارة) رسالة في أصول الفقه، و(فرق الفقهاء)، و(المنتقى) في شرح موطأ مالك، و(شرح المدونة)، و(التعديل والتجريح لمن روى عنه البخاري في الصحيح)» [الأعلام، (٣/١٢٥)].

كـــل صـــدر إذا تصـــدّر يومًـــا شـــهدتْ كـــلّ أمـــة بعُـــلاه
وإذا مـــا ابتـــدى لفصـــل جـــدال شـــرّف الله مـــن هـــدى بهـــداه

فأرني إمامًا من أئمة المجسمة لم يجمجم[1] في أقواله ، ولم يخف إخفاء الهمزة ما بين حم من ضلاله ، إنما يتواحر به أنحاء اليهود بأنبائها إلى أبنائها ، ويتهادونه تهادي الفجرة ضلالة إغوائها ، ويتعاوون به تعاوي الكلاب المتجاوبة في عوائها ، فأي المذهبين تكفل الله لمحمد ﷺ في إعلاء كلمته؟ وأي القولين أشهر شهرةً وأوضح ظهورًا في ملته؟ فاجتن ما غرسته لك في رياض العلم ناميًا ، واجتل حسن هديتي إليك ، فإن كنت مهتديًا فقد وجدت هاديًا ، وحذار أن ترد[2] البضائع ماؤها عذب ، وتصدر في الظهيرة ظاميًا ، وتزيد شمس الدين واضح رشدها ، فتصد عنها أخفش متعاميًا ، فَرِدْ مَشْرع الدين ليُطفَ من حر نارك ، وتبصّرْ عين اليقين لتُشف من عين عوارك ، فقد نشرتُ لك علَم العلم لتأتم بآثاره ، وأوضحت لك بدر التّمّ لتهتدي بأنواره ، وأخذتُ بحجزتك عن مهوى الجهل فلا تصطلي بناره .

فإنـــك إن تفعـــل فراشـــة عثّـــة أبتْ بعـــد مـــس النـــار إلا هلاكهـــا
وقد وضحتْ شمسُ الأدلـــة فاســـتبن ولا تـــوثقن نفسًـــا بغـــير فكاكهـــا

فادخل أنت وأشياعك من باب سلّم التسليم ، وقولوا : حطة ، وتخطّ بواضح هذا التفهيم مَدْرجة هذه الحِنطة ، وأفق بمداواة هذا التعليم من مرض هذه الخطة ، وإلا فإن أعلام الأئمة منشورة ، وسيوف الأدلة مشهورة ، وجيوش علماء الأمة في المواقف على الملحدين منصورة ، وأعداؤهم ما برحت شُبَه ضلالتهم بحجج الحقائق مقهورة ، ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ (التوبة: ٣٢).

فخذ بيد الإيمـــان إن كنـــت مؤمنًـــا وخذ بيد الإسلام إن كنـــت مســـلمًا
وهـــاك يـــدي عهـــدًا عـــن الله أنـــه سيكفيك إن تابعـــت رأيـــي جهنمًـــا

---

(١) « جَمْجَمَ الرجل وتَجَمْجَمَ ، إذا لم يبيِّن كلامه » [الصحاح ، مادة (جمجم)] .
(٢) في الأصل : « تفرد » .

فقد ـ والله ـ محضتك النصيحة مرشدًا ، وأخذت بنفسك مُغورًا[1] ، فأخذتُ بك مُنجدًا[2].

لأشـــفيك يـــا عاريًـــا مـــبطلاً ... بطـــبي مـــن دائـــك الممـــرض
وأقضيك عن عـــرض هـــذا الإمـــام ... وإن كنـــت للـــذل لا تقتضـــي
وأهـــديك مـــن كلمـــات الهـــدى ... بهـــادي سَـــنا بـــارق مُـــومض
وأكحُلـــك بالصـــاب أو بـــالجلا ... ففـــتِّحْ لكُحلـــي أو غمِّـــض

ولو عقلت رشدك ، وصنت عن الاغتياب عقدك ، لحسُن بك أن تتخالف عن هذا المَشرع الذميم ، وتتحلى بهذا العِقد النظيم من كلمات الفاضل الحكيم .

لا تضع من شريف قـــدرًا وإن كنـــ ... ـــت مشـــارًا إليـــك بـــالتعظيم
فالشـــريف العظـــيم يـــنحط قـــدرًا ... بالتعـــدي علـــى الشـــريف العظـــيم
ولع الخمر بالعقول رمـــى الخمـــ ... ـــر بتنجيســـها وبـــالتحريم

ولا تطرد هذا القياس ـ أيدك الله ـ فيّ وفيك ، وخذ جواب ذلك قبل أن تنطق به شفتا فيك ، فإن الله لم يدنك من رُتب جلالته ، ولا رقّاك إلى أقل جزء من عالي درجته .

فإنـــك لا تـــدري بأيـــة مـــوطن ... ولا أي وصف أنت فيه مـــن الخلـــق
سوى أنّ قـــولاً منـــك جـــاء فـــدلّنا ... على أن هذا القول مـــال عـــن الحـــق
وحاد عن التقوى وجار علـــى الهـــدى ... وجانب في إعراضه جانـــب الصـــدق
أهجو إمـــام المســـلمين وقـــد مضـــى ... إلى الله لا قُدِّســـت في ذلـــك النطـــق
أجـــدّك أني فيـــك قـــال فـــلا تَـــرم ... مكانـــك أو تُلقـــي إلي كمـــا أُلقـــي
لـــتحكم فينـــا آيـــة البُعـــد أمرهـــا ... فتأفُل في غـــرب وأطلـــع في شـــرق
وتشرب كأسًا مـــن ضـــلالك باغيًـــا ... فقد أُترعتْ[3] جهلاً من المورد الرّنِق[4]

---

(١) «غَوْرُ كلِّ شيء : قعره . يقال : فلانٌ بعيد الغَوْرِ . والغَوْرُ : المطمئنُّ من الأرض» [الصحاح ، مادة (غور)] .

(٢) «النَجْدُ : ما ارتفع من الأرض ، والجمع نِجادٌ ونُجودٌ وأنْجُدٌ» [السابق ، مادة (نجد)] .

(٣) «تَرِعَ الشيءُ ، بالكسر ، تَرَعًا وهو تَرِعٌ وتَرَعٌ : امتَلأَ . وحَوْضٌ تَرَعٌ ، بالتحريك ، ومُتْرَعٌ ، أي : مَمْلوء . وكوزٌ تَرَعٌ ، أي : ممتَلِئ ، وجَفْنة مُتْرَعة ، وأتْرَعه هو» [لسان العرب ، مادة (ترع)] .

(٤) «الرَّنَقُ : تراب في الماء من القذى ونحوه ، وماء رنقٌ ورَنَقٌ» [العين ، مادة (رنق)] .

عذيريَ لو ألقاك يومًا بنجوة[1] ضربتك بالسيف المهند في الفرْق

واعجبًا لعين عميت عن نور ملأ شرق الأرض وغربها ، وهداية أسبلت على فئة الضلالة غربها ، وجمعت على الائتمام بهذا الإمام عجم الإسلام وعُربها .

فطبّق آفاق الورى فيض فضله وفاء عليهم بالهدى فيء ظلّه
وقامت بحار العلم منه فأصبحت ووبْلُك مغمورٌ بقطرة طلّه
إليك فهذا مورد ما وردته وراءك حلّ الفضلُ فيه لأهله
فلا فرْع في الإسلام زاك كفرْعه ولا أصل في الإيمان هاد كأصله
فما انتصرتْ منه مباحث علمه على عقله حتى استدلّ بنقله
ولا امتدّ إلاّ من علوم رسوله ولا قال إلا عن صحائح فضله
ولا أمّ إلا معجزات كتابه إذا أمّ بحّاث مجرّد عقله
هو السيف ماضي الشفرتين فخلّه وإلا فمقتولاً أراك بنصله

هذه ـ أيدك الله ـ جالية صدأ الدين ، ومقذية عمه[2] العين ، والعقيدة الآخذة يمين الإرشاد ، والذخيرة الهادية إلى سبيل الرشاد ، أنرتُ لك بها مسالك سبيلك ، ورميتُ بشهاب حقها شيطان تضليلك ، وجعلتُها حجة على شبهك ، ومحجّة لدليلك ، وأجنيتُك بها روْض الإيمان لما حنظلتْ شجراتك ، وروّيتها ناري الإتقان لما أمرت بمرآتك ، فاعش إلى ضوء نارها ، واقفُ محاسن آثارها ، وضعها غُرّة في جبينك ، واجعلها درة في يمينك ، وأصخ بسمعك إلى داعي واجب الإجابة ، وامهَدْ[3] لنفسك في مَغرس الإنابة ومقيل الإثابة ، فإنك خطوت في بهماء[4] مظلمة ، وسعيت في دحض مزلة[5] .

---

(١) «النَّجْوةُ والنَّجاةُ : ما ارتفَع من الأرض فلم يَعْلُه السَّيلُ فظننته نَجاءَك ، والجمع نِجاءٌ» [لسان العرب ، مادة (نجا)].

(٢) «العَمَهُ : التَّرَدُّدُ في الضلالة والتحير في مُنازعة أو طريق . قال ابن الأثير : العَمَهُ في البصيرة كالعمى في البصَر» [السابق ، مادة (عمه)].

(٣) «مَهَدَ لنفسه يَمْهَدُ مَهْدًا : كسَبَ وعَمِلَ . يقال : مَهَدْتُ لنَفْسي ومَهَّدت ، أي : جعلت لها مكانًا وَطيئًا سهلاً» [السابق ، مادة (مهد)].

(٤) «البَهيمُ : ما كان لَونًا واحدًا لا يُخالِطه غيره سَوادًا كان أو بياضًا ، ويقال للَّيالي الثلاث التي لا يَطْلُع فيها القمر : بُهَمٌ ، وهي جمع بُهْمةٍ» [السابق ، مادة (بهم)].

(٥) في الأصل : «منزلة».

أسأت ومن يسئ يومًا يساء ... رويدك فالجزاء بها وراء
هجوتَ الأشعري إمام حقٍّ ... بفيك التُّربُ[1] فانطق ما تشاء
ستعلم أينّا أهدى سبيلاً ... إذا وقع الحساب أو الجزاء
وأيُّ المذهبين أصحّ قولاً ... وتزيهُا إذا كشف الغطاء
وتشهدُ في القيامة أن ربي ... سيشهدُ أنه منكم بَراء
أتزعمُ أن ربّ العرش فيه ... وتزعمُ أن ذاك له وعاء
فإن ألزمته فيه قرارًا ... فذا زمنٌ وقد طال الثّواء
ويلزمُ أنه إن كان فيه ... خلَتْ منه البسيطة والسماء
وإن حرّكته منه تعالى ... فيلزمُه حدوثٌ وانتهاء
ويلزمه التنقُّل في مَحالٌ ... يعاقبها خَلاءٌ أو ملاء
فلم تتركْ من التشبيه شيئًا ... سوى أن قيل قد فُقد السواء
فداو الدين من عمه وريْن ... فإن العلم والتقوى دواء
فقد صَديتْ فُهومكُمُ وصُدّت ... عن المُثلى وقد وُجد الجلاء
وأمرضها فسادُ العقل منها ... مع التخليط وامتنع الشفاء
وإن كنت اعتزلتَ الدين رأيًا ... تُحالفه الشقاوة والغباء
وأثبتّ المشيئة للبرايا ... ولم تُثبت لربك ما يشاء
وأنكرتَ القضاء له انفرادًا ... فقلتَ لعبده أيضًا قضاء
وأوجبتَ الصلاح عليه حُكمًا ... يخالفه العبيدُ إذا أشاءوا
فمن يقضي عليه إن عَصوْه ... أمقهورٌ إلهك أم مُساء
وعجزًا عنهمُ أم رفض فرض ... عليه إن قولكمُ هزاء
وإن تكُ مُلحدًا في الدين أضحى ... على عيني كتابته غشاء
يعاندُ لا لمعنى يقتضيه ... سوى أن جانبْته الأتقياء
ففي يُمنى الشريعة سيفُ حقٍّ ... يؤيّد نصله أُسدٌ ظماء[2]

---

(١) مثل «يضرب في الدعاء على المخبر بالسوء» [المستقصى في أمثال العرب ، ص(٨٧)] .

(٢) «الظَّمَأ : العَطَش . وقيل : هو أَخَفُّه وأَيْسَرُه . وقال الزجاج : هو أَشدُّه . والظَّمْآن : العَطْشانُ . وقد ظمِئ فلان يَظْمَأُ ظَمَأً وظَماءً وظَماءَةً إذا اشتدَّ عَطَشُه . ويقال : ظَمِئْتُ أَظْمَأُ ظَمْأً فأنا ظامٍ وقوم ظِماءٌ» [لسان العرب ، مادة (ظمأ)] .

نطهّر ديننا بدماء قوم ... وإن نُجست به تلك الدماء
فما خفيتْ وجوهُ العلم لكن ... هواكمْ عمّ أو غلب الشّقاء
وأيضًا غرّكُم شيطان جهل ... ألبّ[1] بكم وأفئدةٌ هواء
ودلاّكمْ[2] غرورًا في هواكُم ... كما دُليتْ على الرِّخو الدِّلاء
تأمّل يا سقيم الفهم هذا ... فإنّ الحقّ ليس به خفاء
وحصري الحكم إثباتًا ونفيًا ... لمعتلّ الدليل به شفاء
كأني بالمجسم يومَ حشر ... وقد ضاقت به الأرض الفضاء
فنكّس رأسَه منه حياءً ... ولكن فات في الدنيا الحياء
سيندم حين يسأله رجوعًا ... فيسمع لا لقد حُمَّ[3] القضاء

صرف الله قلوبنا عن غباوة الخطأ ، وغواية الخطل ، وبصرنا بهداية العمل عن عماية الزلل ، وأخذ بأيدينا عن معانقة الأمل إلى مراقبة الأجل ، وأظلنا بظل عرشه في الموقف الجلل ، وهدانا إلى اتباع خير الرسل ، وملة أشرف الملل ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المهتدين به ، والهادين إلى أشرف السبل ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

تمت بحمد الله وعونه وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .

* * *

---

(١) « أَلَبَّ بالمكان ، إلْبابًا : أَقَام به ، كَلَبَّ ثُلاثِيًّا . وأَلَبَّ على الأَمْرِ : لَزِمَهُ فلم يُفَارِقْه . ومنه قولُهم : لَبَّيْكَ ، ولَبَّيْه ، أَي : لُزُومًا لِطَاعَتك » [تاج العروس ، مادة (لبب)] .

(٢) « دَلاَّه بغُرور ، أي : أوقعه فيما أراد من تغريره ، وهو من إدلاء الدَّلْو » [الصحاح ، مادة (دلو)] .

(٣) « حُمَّ بمعنى قُدِّرَ . وحُمَّ الشيء وأحِمَّ ، أي : قُدِّرَ ، فهو محمومٌ » [السابق ، مادة (حمم)] .

الرسالة الرابعة

رسالة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد
المتضمنة تقريظ رسالة زجر المفتري

المملوك محمد بن علي يخدم الجناب الكريم العالي المولوي ، السيدي ، العالمي ، العلمي ، الورعي ، الأفضلي ، الأكملي ، الأبرعي ، الأورعي ، المحسني ، الضيائي ، لا زال بحرًا وأنواع المعارف ماؤه[1] ، بدرًا وأوج السعادة سماؤه ، قطرًا وعزمات المكارم أنواؤه ، صدرًا منه مبدأ الشرف وإليه انتهاؤه .

يقوم بنصر الدين في كلّ موطن ... به راية الإسلام تعلو وتُنصب
ويأتي إلى روضٍ على دمنة له ... فتحرقه أنفاسُه وهو مُعشب
فلا عَدم الإسلام مثلك ساعيًا ... له راعيًا ما الله يرعى ويطلب
إذا أجمع البدعيُّ في الغيِّ أمره ... وأبصر ما يُمليه فهو المذبذب
وإن لاح من تلقائه في ظلامه ... سنا بارق إطفائه فهو خُلّب[2]
يناديه في تقريبه لضلاله ... [منه عنقاء مغرب[3]][4]
أبى لِيَ أن يُستهضم الحقُّ جهرة ... ويُخذل أنصارٌ لذاك ومغرب
أولئك قومٌ نصّ أن ظهورهم ... على الحق ما داموا النبيّ المقرب

---

(١) في الأصل : « مأواه » .

(٢) « الخِلابَةُ : الخديعة باللسان ، والبرقُ الخُلَّبُ : الذي لا غيث فيه ، كأنه خادع » [الصحاح ، مادة (خلب)] .

(٣) « عَنْقاءُ مُغْرِبٌ ومُغْرِبةٌ ، وعَنْقاءُ مُغْرِبٍ ، على الإضافة ، عن أَبي عليّ : طائرٌ عظيم يَبْعُدُ في طَيرانه . وقيل : هو من الألفاظِ الدالةِ على غير معنى . التهذيب : والعَنْقاءُ المُغْرِبُ ؛ قال : هكذا جاءَ عن العَرَب بغير هاء ، وهي التي أَغْرَبَتْ في البلادِ ، فَنَأَتْ ولم تُحَسَّ ولم تُرَ . وقال أَبو مالك : العَنقاءُ المُغْرِبُ : رأْسُ الأَكمَة في أَعْلى الجَبَل الطويل ؛ وأَنْكر أَن يكون طائرًا . وفي الحديث : طارتْ به عَنْقَاءُ مُغْرِبٌ ، أَي : ذَهَبَتْ به الداهيةُ . والمُغْرِبُ : المُبْعِدُ في البلاد » [لسان العرب ، مادة (غرب)] .

(٤) كذا في الأصل .

خدمة تقوم بواجب الفرض ، ويملأ ثناها ذات الطول والعرض ، ويصدق ودها فلا يُرجى عليه ثواب ولا ينحى به منحى القرض ، ويثبت عهدها فإذا غير النأي المحبين قال هو : فلن أبرح الأرض .

دعاوٍ لها من سالف الودّ شاهدٌ ... يصدّقه منك الضمير ويَقْبل
تدومُ على الأيام والدهرُ ينقضي ... وتظفرُ بالبُقيا إذا خاب يذبُل[1]
متى تنتهي الأفكار منه لغاية ... نظنُّ مداها آخرًا وهو أول
ويتلوه من إحسانك الجمّ شاهدٌ ... يزكّيه طيبُ المنتمى ويعدّل

وحسبك بشاهدين مقبولين ومزكى بل حاكمين لا يخشى حكمهما نقضًا ، ولا حديثهما تركًا ، بل عَلَمين شاهدُهما من أقبل وأدبر ، ونصيرُهما من أضحك وأبكى ، بل مُفردين لا يقبل إفرادهما تثنية ، ولا توحيدهما شِركًا ، بل جملتين لا يحكيهما متكلف ، وإن كانت الجمل قد تُحكى ، وينهى ورود الكتاب الكريم والإحسان العميم والفضل الذي هو عنده وعند الله عظيم ، قرينًا للحسناء التي صادت وصدّت الكاس ، وصدّت في مذهبها فلم تجر على قاعدة القياس ، ونفَرتْ من المملوك ، ولقد أعد لها «**الإيناس قبل الإبساس**»[2] ، وعدَلتْ عن ربعه ولو مرت لقال :

ما في وقوفك ساعة من باس[3]

هجرت والقلوب للهجر تُدْمَى ، والعيون تتضرج ، ونشرتْ ولعهدي بالحسناء تتزين ثم تتبرج ، وأخْفتِ الخالص من نقدها ، وإنما يخفى ما يُخاف أن يتبهرج ،

---

(١) « يذبل : هو جبل مشهور الذكر بنجد في طريقها » [ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله : معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، (٤٣٣/٥)] .

(٢) « يقال : آنسه ، أي : أوقعه في الأنس ، وهو نقيض أوحشه . والإبساس : الرفق بالناقة عند الحلب ، وهو أن يقال : بس بس ، قال الشاعر :

ولقت رفقت فما حظيت بطائل ... لا ينفع الإبساس بالإيناس

يضرب في المداراة عند الطلب » [مجمع الأمثال ، (٥٩/١)] .

(٣) صدر بيت من الكامل ، وهو مطلع قصيدة لأبي تمام في ديوانه ، والبيت بتمامه هو :

ما في وُقوفِكَ ساعَةً مِن باسِ ... نَقضي ذِمامَ الأَربُعِ الأَدراسِ

ولعلها تصوفت فرجّحت عالَم الغيب على عالم الشهود ، أو تفقّهت فرأت أن لا حرج على الفارّ إذا نوى أن يعود ، أو تأدبت فقال : قد يرفض الأصل ويخرج عن المعهود ، أو تصرّفت فمالت إلى الصلف ومخالفة محبوب ابن داود ، فبات المملوك لياليَ بليل المشوق ، وقلق من بُعدِ مزاره فتعلّل بلَمْح البروق ، وكيف حال من أجدبت مراعيه وأظلمت مَساعيه فهو ينتظر سُحُبًا تُريق ، أو أنوارًا[1] تروق ، ولما كان استقبال ليلة عزوبة زفت البكر التي هي من جناب سيدنا مألوفة ، وبين أهل العصر غريبة ، وأوفتْ والطَّفل[2] جانح ، والنهار جامح ، والغروب لآية المساء شارح ، وإنسان العين في بحر من العسجد سابح ، وحينئذ ترك المملوك عسى ولعل ، ورأى نجم تعليله قد أفل ، وحسن اختياره قد اضمحل ، وتحقق أن الصواب لمن وُفِّق غير بعيد ، ومن رضي باختيار الله له فهو عين السعيد ، وقال لنفسه : لعل التأخُّر ليجمع الله لك في ليلة واحدة بين ليلتي عيد ، فتلقى راية وصلها باليمين ، وشدّ يده عليها لما ظفر بالعِقد الثمين ، ورأى ألفاظها الساحرة تُقْسم على سلب الألباب فلا تمين[3] ، فلو تمثلتُ أنا بشيء لقلنا : ﴿ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾ (الصافات:٢٨)، ولزمها لزوم الخطب للمنابر ، والمقل للمحاجر ، والقيظ بشهر ناجر[4]، والأعراض لمحالِّها من الجواهر ، ولم يقض واجب الصلاة حتى عرضها المملوك واستكملها ، وأخذ مأخذ العزم فما فتر ولا لها ، وقال لعينه : دونك فتمتعي بحسناء لن تريْ مثلها ، وتعقّليه عقل الأدب فإن عرض إشكال فمنك ، وإن بهر إحسان فلها ، ثم عزم على أن يبني عليها بناء

---

(١) في الأصل : « أنوار » .

(٢) « تَطْفيلُ الشمس : ميلُها للغروب . وقد طَفَّلَ الليل ، إذا أقبل ظلامُه . والطَّفَلُ بالتحريك : بعد العصر ، إذا طَفَّلَتِ الشمس للغروب ، يقال : أتيته طَفَلاً » [الصحاح ، مادة (طفل)] .

(٣) « مانَ يَمينُ مَيْنًا : كذب ، فهو مائن أي : كاذب ، ورجل مَيُونٌ ومَيَانٌ : كذَّاب » [لسان العرب ، مادة (مين)] .

(٤) « نحن في شهر ناجر : هو الشهر الواقع في صميم الحرّ ، من النّجر وهو فرط العطش » [أساس البلاغة ، مادة (نجر)] .

الأجساد على حَلْيها ، والرياض على وسْمِيّها ووَلْيها[1] ، والفُصحاء من أبناء الكرام على مُولي النعمة ووليها ، ويجري في ذلك جواد اللسان ، ويطمع أن يأخذ بطرفٍ من الإحسان ، وحكم أن لسان التقصير قصير ، ومحل سيدنا من الفضل كبير ، والخُدام في نشر محاسنه كثير ، ونشر سقط المتاع عين السَّفه ، ولو وقف المملوك عند طوره لما فاه ببنت شفة .

ومن شرع في أمر ولم يكمله فما أنصفه ، والعجز عن درك الإدراك نفس الإدراك وعين المعرفة ، فأطال الله لسيدنا من العمر مداه ، وأرغم به أنف المبتدعة فما هم إلا عِداه ، وبيض وجهه بما حبّر قلمه وادّخر كرامته لما قدّمت يداه .

فصل

وأما ما أشار به الجناب من رد المملوك على ذلك الساقط ، ولو شئتُ لقلت : العافط[2] ، وقد كان المملوك عندما رأى هذيانه وسمع ما سوّد من صحيفته ولسانه ، بادر بتضمين أبيات يسيرة أسرع إلى مستمليها سيرة ، ورام أن يعود عليها بالتنقيح والتهذيب فعجلت به بادرة الغيرة قال :

علمنا ويْك وانكشف الغطاء ... ولاح الحق ليس به خفاء
وحقّقنا بأنك غير شكٍّ ... ضعيفُ الرأي جُؤجؤه[3] هواء
يرى بتجمّع الضّدّين جهلاً ... ويجهل ما رأى والجهل داء

---

(١) «الوَسْمِيُّ : مطرُ أَوَّل الربيع ، وهو بعدَ الخريف ؛ لأنه يَسِمُ الأَرض بالنبات فيُصَيِّر فيها أَثرًا في أَوَّل السنة ، وأَرضٌ مَوْسومةٌ : أَصابها الوَسْمِيُّ» [لسان العرب ، مادة (وسم)] .
«والولي : المطر يأتي بعد الوسمي ، وسمي وليا لأنه يلي الوسمي أي يقرب منه ويجيء بعده» [السابق ، مادة (ولي)] .

(٢) «عَفَطَت العَنْزُ تَعْفِطُ عَفْطًا وعَفِيطًا وعَفَطَانًا ، الأَخيرة محرَّكَةً : ضَرَطَتْ . ورَجُلٌ عافِطٌ وعَفِطٌ ، كَكَتِفٍ : ضَرُوطٌ . والعِفَاطِيُّ والعِفْطِيُّ ، بكسرهما ، وكذلِكَ العَفَّاطُ ، كشَدَّاد : الأَلْكَنُ الَّذي لا يُفْصِحُ في عَرَبِيَّتِه ، وقد عَفَطَ في كَلامِه يَعْفِطُ . عَفْطًا ، إذا تكَلَّمَ بالعَرَبِيَّةِ فلم يُفْصِحْ ، وقِيلَ : تكلَّمَ بكَلامٍ لا يُفْهَم . وعَفَطَ الرَّاعي بغَنَمِه ، إِذا زَجَرَها بصَوْتٍ يُشْبِهُ عَفْطَهَا . والعافِطُ : الرَّاعي» [تاج العروس ، مادة (عفط)].

(٣) «الجؤْجُؤُ : الصَّدْرُ ، وقيل : عِظامُه ، والجمع الجآجئ» [لسان العرب ، مادة (جأجأ)] .

ويثبتُ ما نفاه وليس يدري ... أأثبت أم نفى فهُما سواء
فما متكمّهٌ[1] لم يبدُ يومًا ... له من ضوء بارقةٍ ضياء
أتت بعد الممات له دهور ... فأفناه التمزّق والعفاء
بأعمى منك عن نظر صحيح ... دلائله كما ارتفع الضّحاء[2]
قليلَ الدِّين كيف طعنتَ فيما ... تناقله الثقاتُ الأتقياء
وأُقسم لست تُثبتُ نفي ما قد ... نَفيتَ ولو أطيل لك النَّساء[3]
وطعْن المرء في الأنساب كفرٌ ... كما يُروى فهل غلب الشقاء
[جعلت الشكّ فيما وضعه أن][4] ... تزول به الشكوك والامتراء
وطلّلت[5] الذين حموك لما ... تكنّفك العِدى ودنا العداء
فلو رُدّتْ إليك أمورهم في ... مناظرةٍ لجدّ بك البلاء
فقفْ لخُطاك لا تبلغ مداها ... مقامًا لا تقوم به النساء
وخلِّ لملتقى الأبطال منهم ... أسودًا لا ينهنهها[6] اللّقاء
إذا حضروا الجلاد أتوا بنار ... من الأذهان يوقدها الذكاء
وأغنَوا حيث لا تُغني صِفاحٌ ... كما أغْنَوا ولا أسَلٌ ظماء
فكم من ملحدٍ دلّوه حتى ... أقر بما تقولُ الأنبياء
وكم مُتفلسفٍ قد سفّهوه ... فما لقديم فلسفةٍ بقاء

---

(١) «الكَمَهُ : العَمَى الذي يُولَدُ عليه ابنُ آدمَ» [العين ، مادة (كمه)].

(٢) «الضَّحاء : قرب انتصاف النهار» [المعجم الوسيط ، ص(٥٥٦)].

(٣) «نَسَأَ الشيءَ يَنْسَؤُه نَسْأً وأَنْسأَه : أَخَّره ، والاسم النَّسِيئةُ والنَّسِيءُ . ونَسَأَ اللّهُ في أَجَلِه ، وأَنْسَأَ أَجَلَه : أَخَّره ، والاسم النَّسَاءُ» [لسان العرب ، مادة (نسأ)].

(٤) هذا الشطر مكسور الوزن .

(٥) «أُطِلَّ دَمُه ، بالضَّمّ : أَهْدِرَ ، وأَطَلَّه الله ـ تعالى ، وطَلَّه : أي أَهْدَرَه ، والطَّلُّ : هَدَرُ الدَّمِ ، أو ألا يُثْأَرَ به ، أو تُقْبَلَ دِيَتُه» [تاج العروس ، مادة (طلل)].

(٦) «النَّهْنَهَةُ : الكَفُّ . تقول : نَهْنَهْتُ فلانًا إذا زجرته فَتَنَهْنَهَ ، أي : كففته فَكَفَّ» [لسان العرب ، مادة (نهنه)].

أَتَـــوا بـــرُواء حكمتـــهم فلمّـــا ... أتـــى الأشـــياخ لم تبـــق الـــرُّواء

وكـــان القـــوم في حصـــنٍ منيـــعٍ ... [عصـــا ..... الهـــواء][1]

فلمّـــا حـــاولوه صـــار أرضًـــا ... سمـــاء الحصـــن واســـتفل العـــلاء

وكيف يكـــون حالـــة مَـــنْ ســـواهم ... إذا دان الخصـــــوم الأقويـــــاء

وأمّـــا الاعتـــزال وناصـــروه ... فـــإن حبـــال مـــا ابتـــدعوا هبـــاء

وكـــم مِـــنْ رافضـــيٍّ أوردوه ... مـــوارد مـــا هنـــاه بـــها الـــرّواء

وكـــم مِـــنْ مُرجـــئ أو خـــارجيٍّ ... تـــبينَ أنّ قولهمـــا هُـــراء

ومثلُـــك قـــد لقـــى منـــهم مقامًـــا ... يســـوّد وجهـــه ذاك اللقـــاء

أولئـــك عتـــرتي ومحـــلُّ وُدّي ... وقـــد يُفضـــي إلى الشـــرف اعتـــزاء

رأوا أن الأســـاس أهـــمُّ ممـــا ... عـــداه فـــأتقنوه كيـــف شـــاءوا

وأفنَـــوا مـــدة الأعمـــار فيـــه ... عنـــاءً حبـــذا ذاك العنـــاء

فليتَـــك إذ خبرتُـــك لســـت عنـــدي ... خلـــيلاً مـــن أمـــام ولا وراء

بِعيْشِك عنـــد نفســـك كيـــف يـــبنى ... بـــلا أصـــل يقـــوم بـــه البنـــاء

هربـــتَ مـــن ابتـــداع في اعتقـــاد ... تـــدينُ بـــه فأوقعـــك القضـــاء

لعلّـــك تكـــره التنزيـــه ممّـــن ... يـــراه فلـــيس فيـــك لـــه ولاء

لعلّـــك تحســـب الـــرحمن جســـمًا ... يلازمـــه التغيُّـــر والفنـــاء

لعـــل الصـــوتَ عنـــدكم قـــديمٌ ... مكـــابرةً تجنّبـــها الحيـــاء

وقـــولاً إن تناقلـــه الأعـــادي ... لنـــا سُـــرُّوا بـــذاك كمـــا نشـــاء

نفينـــا فخـــره عنـــا وفُـــزتُم ... بـــه فلكـــم برتبتـــه الهنـــاء

هجـــوتَ فملـــتُ نحـــوك مســـتفيدًا ... وعنـــد الله في ذاك الجـــزاء

فلـــو وافيتنـــا حيـــث اســـتقرت ... بشـــيعتنا الإقامـــة والثّـــواء

وفُهـــتَ بمـــا نطقـــتَ بـــه لـــديهم ... أُهِنْـــت هنـــاك إن حضـــر الجـــلاء

---

(١) هكذا في الأصول .

وأثناء هذه البارقة ترادفت الهموم فأظلم الليل ، وتكاثفت الأشغال فحطم السيل ، وقلت : أكتفي للمخذول بأن أقول : « **بفيه الحجر** » ، وله الويل ، ولكن لما أصبح علم الهداية لسيدنا منصوبًا ، وأُجري جواد البيان في ميدان الإحسان فكان بحرًا يعبوبًا[1]، وقُدح زناد الفكر ورُمي بناره شيطان البدعة فأمسى منكوبًا ، فلابد للمملوك أن يتبع الأثر ، ويقضي تلك الحقوق ، وينصر أبا الروح كما ينصر أبا الجسد ، فكلاهما محرم العقوق ، ويسرق وقتًا لذلك السبب ، وإن كانت الموانع تقوم والعوائق تعوق ، ويقطعه عن أمثاله وأشغاله ، ومن العجائب أن يقطع المسروق .

* * *

(١) « اليَعْبُوبُ : الجَدْوَلُ الكثيرِ الماء ، الشديدُ الجريةِ » [السابق ، مادة (عبب)] .

obeikandl.com

obeikandl.com

الرسالة الخامسة

نونية تاج الدين السبكي[1] في العقيدة

سمعت الشيخ الإمام[2] ـ رحمه الله ـ يقول : ما تضمنته «عقيدة الطحاوي» هو ما يعتقده الأشعري لا يخالفه إلا في ثلاث مسائل .

قلت : أنا أعلم أن المالكية كلهم أشاعرة لا أستثني أحدًا ، والشافعية غالبهم أشاعرة لا أستثني إلا من لحق منهم بتجسيم أو اعتزال ممن لا يعبأ الله به ،

---

(١) «تاج الدين السبكي [٧٢٧-٧٧١هـ = ١٣٢٧-١٣٧٠م] : عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، أبو نصر : قاضي القضاة ، المؤرخ ، الباحث ، ولد في القاهرة ، وانتقل إلى دمشق مع والده ، فسكنها وتوفي بها ، نسبته إلى سبك (من أعمال المنوفية بمصر) وكان طلق اللسان ، قوي الحجة ، انتهى إليه القضاء في الشام وعزل ، وتعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر ، وأتوا به مقيدًا مغلولاً من الشام إلى مصر ، ثم أفرج عنه ، وعاد إلى دمشق ، فتوفي بالطاعون . قال ابن كثير : جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض مثله ، من تصانيفه : (طبقات الشافعية الكبرى) ، و(معيد النعم ومبيد النقم) ، و(جمع الجوامع) في أصول الفقه ، و(منع الموانع) تعليق على جمع الجوامع ، و(توشيح التصحيح) في أصول الفقه ، و(ترشيح التوشيح وترجيح التصحيح) في فقه الشافعية ، و(الأشباه والنظائر) فقه ، و(الطبقات الوسطى) ، و(الطبقات الصغرى) ، وله نظم جيد أورد الصفدي بعضه في مراسلات دارت بينهما» [الأعلام ، (٤/١٨٤-١٨٥) باختصار] .

(٢) «تقي الدين السبكي [٦٨٣-٧٥٦هـ = ١٢٨٤-١٣٥٥م] : علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي ، أبو الحسن ، تقي الدين : شيخ الإسلام في عصره ، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين ، وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات ، ولد في سبك (من أعمال المنوفية بمصر) وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام ، وولي قضاء الشام سنة ٧٣٩هـ ، واعتل فعاد إلى القاهرة ، فتوفي فيها . من كتبه : (الدر النظيم) في التفسير ، لم يكمله ، و(مختصر طبقات الفقهاء) ، و(إحياء بالنقوس في صنعة إلقاء الدروس) ، و(الإغريض ، في الحقيقة والمجاز والكنية والتعريض)، و(التمهيد فيما يجب فيه التحديد) في المبايعات والمقاسمات والتمليكات وغيرها ، و(السيف الصقيل) في الرد على قصيدة نونية تسمى (الكافية) في الاعتقاد ، منسوبة إلى ابن القيم ، و(المسائل الحلبية وأجوبتها) في فقه الشافعية ، و(السيف المسلول على من سب الرسول) ، و(مجموعة فتاوى) ، و(شفاء السقام في زيارة خير الأنام) ، و(الابتهاج في شرح المنهاج) فقه» [السابق ، (٤/٣٠٢) باختصار] .

والحنفية أكثرهم أشاعرة ، أعني : يعتقدون عقد الأشعري لا يخرج منهم إلا من لحق منهم بالمعتزلة ، والحنابلة أكثر فضلاء متقدميهم أشاعرة لم يخرج منهم عن عقيدة الأشعري إلا من لحق بأهل التجسيم ، وهم في هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم .

وقد تأملت «عقيدة أبي جعفر الطحاوي» فوجدت الأمر على ما قال الشيخ الإمام ، و«عقيدة الطحاوي» زعم أنها الذي عليه أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد ، ولقد جوّد فيها ، ثم تفحّصت كتب الحنفية فوجدت جميع المسائل التي بيننا وبين الحنفية خلافٌ فيها ثلاث عشرة مسألة ، منها معنوي ست مسائل ، والباقي لفظي ، وتلك الست المعنوية لا تقتضي مخالفتهم لنا ولا مخالفتنا لهم فيها تكفيرًا ولا تبديعًا ، صرح بذلك الأستاذ أبو منصور البغدادي وغيره من أئمتنا وأئمتهم ، وهو غنيٌ عن التصريح لظهوره .

ومن كلام الحافظ[1] : الأصحاب مع اختلافهم في بعض المسائل كلّهم أجمعون على ترك تكفير بعضهم بعضًا مجمعون ، بخلاف من عداهم من سائر الطوائف وجميع الفرق ؛ فإنهم حين اختلفت بهم مستشنعات الأهواء والطرق كفّر بعضهم بعضًا ، ورأى تبرّيه ممن خالفه فرضًا[2].

قلت : وهذا حق ، وما مثل هذه المسائل إلا مثل مسائل كثيرة اختلفت الأشاعرة فيها ، وكلهم عن حمى أبي الحسن يناضلون ، وبسيفه يقاتلون ، أفتراهم يبدع بعضهم بعضًا ؟ !

ثم هذه المسائل لم يثبت جميعها عن الشيخ ولا عن أبي حنيفة ﷺ كما سأحكي لك ، ولكنّ الكلام بتقدير الصحة .

---

(١) هو الحافظ ابن عساكر .

(٢) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، قدم له وعلق عليه : محمد زاهد الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٠م ، ص(٣٠١) .

ولي قصيدة نونية جمعت فيها هذه المسائل ، وضممت إليها مسائل اختلفت الأشاعرة فيها ، مع تصويب بعضهم بعضًا في أصل العقيدة ، ودعواهم أنهم أجمعون على السنة ، وقد ولع كثير من الناس بحفظ هذه القصيدة لاسيما الحنفية ، وشرحها من أصحابي الشيخ الإمام العلامة نور الدين محمد بن أبي الطيب الشيرازي الشافعي ، وهو رجل مقيم في بلاد كيلان ، ورد علينا دمشق في سنة سبع وخمسين وسبعمائة ، وأقام يلازم حلقتي نحو عام ونصف عام ، ولم أر فيمن جاء من العجم في هذا الزمان أفضل منه ولا أدْين .

وأنا أذكر لك قصيدتي في هذا الكتاب لتستفيد منها مسائل الخلاف وما اشتملت عليه .

الورد خدك صيغ من إنسان ... أم في الخدود شقائق النعمان[1]
والسيف لحظك سُلّ من أجفانه ... فسطا كمثل مهنّد وسنان
تالله ما خُلقتْ لحاظك باطلاً ... وسُدى تعالى الله عن بطلان
وكذاك عقلُك لم يُركّب يا أخي ... عبثًا ويودع داخل الجثمان
لكن ليسعد أو ليشقى مؤمنٌ ... أو كافرٌ فبنو الورى صنفان
لو شاء ربك لاهتدى كلٌّ ولم ... يحتج إلى حدٍّ ولا برهان
فانظر بعقلك واجتهد فالخير ما ... تُؤتاه عقلٌ راجح الميزان
واطلب نجاتك إنّ نفسك والهوى ... بَحران في الدّركات يلتقيان
نار يراها ذو الجهالة جنّةً ... ويخوضُ منها في حميم آن
ويظلُّ فيها مثلَ صاحب بدعة ... يتخيّل الجنّات في النيران

---

(١) « شقائقُ النُعمان : هي الشَقرَةُ ، وواحِدَة الشَّقائق شَقِيقَةٌ ، سُمِّيَتْ بذلك لحُمْرَتِها تَشْبِيهًا بشقِيقَةِ البَرْق ، وقِيلَ : النعْمانُ : اسم الدم وشقائقُه : قِطَعُه فشُبِهَتْ حمرَتُها بحُمْرَةِ الدَّم ، ويُقال : إنّما أضيفَ إلى ابن المُنْذِر ؛ لأنّه جاءَ إلى مَوْضع وقد اعْتَمَّ نَبتُه من أَصْفَرَ وأَحْمَرَ ، وإذا فِيهِ منْ هذِه الشقائِقِ ما راقَهُ ولم يرَ مِثْلَه ، فقالَ : ما أحسَنَ هذه الشَّقائِقَ! احموها ، وكانَ أولَ مَنْ حَمَاهَا ؛ فسُمِّيَت شَقائِقَ النعمان بذلكَ » [تاج العروس ، مادة (شقق)] .

منها :

كـــذب ابـــن فاعلـــة يقـــول لجهلـــه ... الله جســـمٌ لـــيس كالجســـمان
لو كان جسمًا كـــان كالأجســـام يـــا ... مجنـــونُ فاصـــغِ وعـــدِّ عـــن بُهتـــان
واتبعْ صـــراط المصـــطفى في كـــلّ مـــا ... يـــأتي وخـــلِّ وســـاوس الشـــيطان
واعلم بأن الحق مـــا كانـــت عليـــ ... ـــه صحابة المبعـــوث مـــن عـــدنان
من أكمل الـــدين القـــويم وبـــيّن الـــ ... ـــحُجج التي يُهـــدى بهـــا الـــثقلان
قد نزّهـــوا الـــرحمن عـــن شَـــبَهٍ وقـــد ... دانُـــوا بمـــا قـــد جـــاء في الفرقـــان
ومضَوْا على خـــيرٍ ومـــا عقـــدوا مجـــا ... لـــس في صـــفات الخـــالق الـــديان
كـــلاَّ ولا ابتـــدعوا ولا قـــالوا البِنـــا ... متشـــابهٌ في شـــكله للبـــاني
وأتـــت علـــى أعقـــابهم علماؤنـــا ... غرســـوا ثمـــارًا يجتنيهـــا الجـــاني
كالشـــافعي ومالـــكٍ وكأحمـــد ... وأبي حنيفـــة والرضـــا ســـفيان[1]
وكمثـــل إســـحاق[2] وداود[3] ومـــن ... يقفـــو طـــرائقهم مـــن الأعيـــان

---

(١) سفيان الثوري [٩٧-١٦١هـ = ٧١٦-٧٧٨م] : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، من بني ثور ابن عبد مناة ، من مضر ، أبو عبد الله : أمير المؤمنين في الحديث ، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ، ولد ونشأ في الكوفة ، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم ، فأبى ، وخرج من الكوفة (سنة ١٤٤هـ) فسكن مكة والمدينة ، ثم طلبه المهدي ، فتوارى ، وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيًا . له من الكتب : (الجامع الكبير) ، و(الجامع الصغير) كلاهما في الحديث ، وكتاب في (الفرائض) . وكان آية في الحفظ . من كلامه : ما حفظت شيئًا فنسيته . ولابن الجوزي كتاب في مناقبه» [الأعلام ، (٣/١٠٤-١٠٥)] .

(٢) «ابن راهويه [١٦١-٢٣٨هـ = ٧٧٨-٨٥٣م] : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي ، أبو يعقوب بن راهويه : عالم خراسان في عصره ، من سكان مرو (قاعدة خراسان) ، وهو أحد كبار الحفاظ . طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم ، وقيل في سبب تلقيبه (ابن راهويه) : إن أباه ولد في طريق مكة فقال أهل مرو : راهويه! أي ولد في الطريق ، وكان إسحاق ثقة في الحديث ، وله تصانيف ، منها : (المسند) ، استوطن نيسابور وتوفي بها» [السابق ، (١/ ٢٩٢) باختصار] .

(٣) «داود الظاهري [٢٠١-٢٧٠هـ = ٨١٦-٨٨٤م]: داود بن علي بن خلف الأصبهاني ، أبو سليمان ، الملقب بالظاهري : أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام ، تنسب إليه الطائفة الظاهرية ، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس . وكان داود أول ==

وأتى أبـو الحسـن الإمـام الأشـعري م مبيّنًـا للحـقِّ أيَ بيـان
ومناضـلاً عمـا عليـه أولئـك الـ أسـلاف بـالتحرير والإتقـان
مـا إن يخـالف مالكًـا والشـافعي م وأحمـد بـن محمـد الشـيباني
لكـن يوافـق قـولهم ويزيـدُه حسـنًا بتحقيـقٍ وفضـل بيـان
يقفـو طـرائقهم ويتْبـع حارثًـا أعـني محاسـب[1] نفسـه بـوزان
فلقد تلقّى حسن منهجـه عـن الـ أشـياخ أهـل الـدين والعرفـان
فلـذاك تلقـاه لأهـل الله ينـ ـصر قـولهم بمهنّـد وسِـنان
مثلُ ابن أدهـم[2] والفضـيل وهكـذا معـروفٌ[3] المعـروف في الإخـوان

== من جهر بهذا القول ، وهو أصبهاني الأصل ، من أهل قاشان (بلدة قريبة من أصبهان) ومولده في الكوفة . سكن بغداد ، وانتهت إليه رياسة العلم فيها . قال ابن خلكان : قيل : كان يحضر مجلسه كل يوم أربعمائة صاحب طيلسان أخضر! وقال ثعلب : كان عقل داود أكبر من علمه . وله تصانيف أورد ابن النديم أسماءها في زهاء صفحتين ، توفي في بغداد» [السابق ، (٢/٣٣٣)].

(١) هو «الحارث المحاسبي [٠٠٠-٢٤٣هـ = ٠٠٠-٨٥٧م]: الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبدالله: من أكابر الصوفية ، كان عالمًا بالأصول والمعاملات ، واعظًا مبكيًا ، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم ، ولد ونشأ بالبصرة ، ومات ببغداد ، وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره . من كتبه : (آداب النفوس) ، و(شرح المعرفة) تصوف ، و(المسائل في أعمال القلوب والجوارح) ، و(المسائل في الزهد وغيره) ، و(البعث والنشور) ، و(ماثية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه) ، و(الرعاية لحقوق الله ﷻ) ، و(الخلوة والتنقل في العبادة) ، و(معاتبة النفس) ، و(كتاب التوهم) ، و(رسالة المسترشدين) . ومن كلامه : خيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم ولا دنياهم عن آخرتهم» [السابق ، (٢/١٥٣) باختصار] .

(٢) إبراهيم بن أدهم [٠٠٠-١٦١هـ = ٠٠٠-٧٧٨م] : إبراهيم بن أدهم بن منصور ، التميمي البلخي ، أبو إسحاق : زاهد مشهور ، إمام من متقدمي الشيوخ ، وأصله من بلخ ، جاء مكة ، وصحب بها سفيان الثوري والفضيل ، وكان يأكل من عمل يده مثل الحصاد وحراسة البساتين ، أخباره كثيرة وفيها اضطراب واختلاف في نسبته ومسكنه ومتوفاه ، ولعل الراجح أنه مات ودفن في سوفنن (حصن من بلاد الروم) . [انظر : الوافي بالوفيات ، (٢/٢٠٧) ، والأعلام ، (١/٣١)] .

(٣) «معروف الكرخي [٠٠٠-٢٠٠هـ = ٠٠٠-٨١٥م] : معروف بن فيروز الكرخي ، أبو محفوظ : أحد أعلام الزهاد والمتصوفين ، كان من موالي الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم ، ولد في كرخ بغداد ، ونشأ وتوفي ببغداد ، اشتهر بالصلاح وقصده الناس للتبرك به حتى كان الإمام أحمد ابن حنبل في جملة من يختلف إليه ، ولابن الجوزي كتاب في (أخباره وآدابه)» [الأعلام ، (٧/٢٦٩)] .

ذو النون[1] أيضًا والسّريّ[2] وبشرٌ بـ ـن الحارث الحافي[3] بلا فقدان
وكذلك الطائيّ[4] ثم شقيقٌ البـ ـلخي[5] وطيفورٌ[6] كذا الداراني[7]

---

(١) «ذو النون المصري [. . .-٢٤٥هـ = . . .-٨٥٩م] : ثوبان بن إبراهيم الأخميمي المصري ، أبو الفياض ، أو أبو الفيض : أحد الزهاد العباد المشهورين ، من أهل مصر ، نوبي الأصل من الموالي ، كانت له فصاحة وحكمة وشعر ، وهو أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ؛ فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم ، واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة ، فاستحضره إليه وسمع كلامه ، ثم أطلقه ، فعاد إلى مصر ، وتوفي بجيزتها» [السابق ، (١٠٢/٢)].

(٢) «السري السقطي [. . .-٢٥٣هـ = . . .-٨٦٧م] : سري بن المغلس السقطي ، أبو الحسن ، من كبار المتصوفة ، بغدادي المولد والوفاة ، وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية ، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته ، وهو خال الجنيد ، وأستاذه . قال الجنيد : ما رأيت أعبد من السري ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعًا إلا في علة الموت . من كلامه : (من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز)» [السابق ، (٨٢/٣)] .

(٣) «بشر الحافي [١٥٠-٢٢٧هـ = ٧٦٧-٨٤١م] : بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي ، أبو نصر ، المعروف بالحافي : من كبار الصالحين . له في الزهد والورع أخبار ، وهو من ثقات رجال الحديث ، من أهل (مرو) سكن بغداد وتوفي بها . قال المأمون : لم يبق في هذه الكورة أحد يستحيى منه غير هذا الشيخ بشر بن الحارث» [السابق ، (٥٤/٢)] .

(٤) أبو سليمان الطائي [٠٠٠-١٦٥هـ = ٠٠٠-٧٨١م] : داود بن نصير الطائي ، الكوفي الفقيه الزاهد أحد الأعلام ، كان من كبار أصحاب الرأي ، ومن أئمة المتصوفين ، أصله من خراسان ، ومولده بالكوفة ، رحل إلى بغداد ، فأخذ عن أبي حنيفة وغيره ، وعاد إلى الكوفة ، فاعتزل الناس ، ولزم العبادة إلى أن مات فيها ، وله أخبار مع أمراء عصره وعلمائه . [انظر : الوافي بالوفيات ، (٤١٧/٤) ، والأعلام ، (٣٣٥/٢)] .

(٥) «شقيق البلخي [. . .-١٩٤هـ = . . .-٨١٠م] : شقيق بن إبراهيم بن علي الأزدي البلخي ، أبو علي : زاهد صوفي ، من مشاهير المشايخ في خراسان ، ولعله أول من تكلم في علوم الأحوال الصوفية بكور خراسان ، وكان من كبار المجاهدين ، استشهد في غزوة كولان بما وراء النهر» [الأعلام ، (١٧١/٣)] .

(٦) «أبو يزيد البسطامي [١٨٨-٢٦١هـ = ٨٠٤-٨٧٥م] : طيفور بن عيسى البسطامي ، أبو يزيد ، ويقال : بايزيد : زاهد مشهور ، له أخبار كثيرة . كان ابن عربي يسميه أبا يزيد الأكبر ، نسبته إلى بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) أصله منها ، ووفاته فيها . قال المناوي : وقد أفردت ترجمته بتصانيف حافلة . وفي المستشرقين من يرى أنه كان يقول بوحدة الوجود ، وأنه ربما كان أول قائل بمذهب الفناء Nirvana ، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية» [السابق ، (٢٣٥/٣)] .

(٧) «أبو سليمان الداراني [. . .-٢١٥هـ = . . .-٨٣٠م] : عبد الرحمن بن عطية العنسي المذحجي ، أبو سليمان : زاهد مشهور ، من أهل داريا بغوطة دمشق ، رحل إلى بغداد ، وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى الشام ، وتوفي في بلده . كان من كبار المتصوفين . له أخبار في الزهد ، من كلامه : (خير السخاء ما وافق الحاجة)» [السابق ، (٢٩٣/٣-٢٩٤)] .

والتستريّ[1] وحاتمٌ[2] وأبو ترا ... ب عسكرٌ[3] فاعدد بغير توان

وكذاك منصور بن عمّار[4] كذا ... يحيى سليل معاذ الرباني[5]

---

(١) «سهل التستري [٢٠٠-٢٨٣هـ = ٨١٥-٨٩٦م]: سهل بن عبد الله بن يونس التستري ، أبو محمد : أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال . له كتاب في (تفسير القرآن)، وكتاب (رقائق المحبين) ، وغير ذلك» [السابق ، (١٤٣/٣) باختصار].

(٢) «حاتم الأصم [. . .-٢٣٧هـ = . . .-٨٥١م] : حاتم بن عنوان ، أبو عبد الرحمن ، المعروف بالأصم : زاهد ، اشتهر بالورع والتقشف ، له كلام مدون في الزهد والحكم ، من أهل بلخ ، زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل ، وشهد بعض معارك الفتوح ، مات بواشجرد ، وكان يقال : حاتم الأصم لقمان هذه الأمة» [السابق ، (١٥٢/٢) باختصار] .

(٣) أبو تُرابٍ النَّخْشَبِي [. . .-٢٤٥هـ = . . .-٨٥٩م] : عسكر بن حصين (أو ابن محمد ابن الحسين) النخشبي ، نسبة إلى نخشب ، بلدة بما وراء النهر ، صَحِب أبا حاتمٍ العطارَ البَصْرِي ، وحاتمًا الأَصَمَّ البَلْخِي ، وهو من جِلَّةِ مشايخ خُراسانَ ، والمذكورين بالعلم ، والفُتُوَّةِ ، والتوكُّل ، والزُّهد ، والورع . كتب كثيرًا من الحديث . وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل آخرون ، وقف ٥٥ وقفة بعرفة ، ومات بالبادية ، قيل : نهشته السباع . [انظر : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي : العبر في خبر من غبر ، تحقيق : د . صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٨م ، (٤٤٥/١) ، وأبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي : طبقات الصوفية ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م ، ص(١٢٤-١٢٥) ، والأعلام ، (٢٣٣/٤)] .

(٤) منصور بن عمَّار بن كثير الواعظ ، البليغ الصالح ، الرباني أبو السَّري السلمي الخراساني ، وقيل : البصري ، وكان من أحسن الناس كلامًا في الموعظة ، وكان من حُكماء المشايخ ، وأسند الحديث ، ووعظ بالعراق والشام ومصر ، وبعد صيته ، وتزاحم عليه الخلق ، توفي في حدود المائتين . [انظر : سير أعلام النبلاء ، (٩٣/٩ ، ٩٨) ، وطبقات الصوفية ، ص(١١٣)] .

(٥) يحيى بن معاذ [. . .-٢٥٨هـ = . . .-٨٧٢م] : يحيى بن مُعاذ بنِ جعفر ، الرازيُّ الواعظُ ، تكلم في عِلْم الرجاء ، وأحسن الكلام فيه ، من كبار المشايخ ، له كلام جيد ، ومواعظ مشهورة ، خرج إلى بَلْخ ، وأقام بها مدةً ، ثم رجع إلى نَيْسابُور ، ومات بها . [انظر : سير أعلام النبلاء ، (١٥/١٣) ، وطبقات الصوفية ، ص(٩٨) ، والأعلام ، (١٧٢/٨)] .

فله بهم حسن اعتقادٍ مثل ما ... لهمُ به التأييد يوم رِهان

إذ يُجمع الخصمان يوم جدالهم ... ولِما تحقق يسمع الخصمان

لَم لا يُتابِعُ هؤلاء وشيخه الـ ... ـشيخ الجنيد السيد الصمداني[1]

عنه التصوف قد تلقى فاغتذى ... وله به وبعلمه نوران

ورأى أبا عثمان الحيريّ[2] والنـ ... ـنّ م سوريّ[3] يا لهما همما الرجلان

---

(١) «الجنيد البغدادي [٠٠٠-٢٩٧هـ = ٠٠٠-٩١٠م]: الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم: صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشؤه ووفاته ببغداد. أصل أبيه من نهاوند، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير. وعرف الجنيد بالخزاز؛ لأنه كان يعمل الخز. قال أحد معاصريه: ما رأت عيناي مثله، الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه. وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد، وقال ابن الأثير في وصفه: إمام الدنيا في زمانه. وعده العلماء شيخ مذهب التصوف؛ لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصونًا من العقائد الذميمة، محمي الأساس من شبه الغلاة، سالمًا من كل ما يوجب اعتراض الشرع. من كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به. له (رسائل) منها ما كتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ما هو في التوحيد والألوهية، والغناء، ومسائل أخرى. وله (دواء الأرواح)» [الأعلام، (٢/١٤١)].

(٢) أبو عثمان الحيري [٢٣٠-٢٩٨هـ = ٨٤٤-٩١٠م]: سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور النيسابوري الحيري الصوفي، الشيخ الإمام المحدث الواعظ القدوة، شيخ الإسلام، مولده سنة ثلاثين ومائتين بالري، ثم رحل إلى نَيْسابور، صَحِب يحيى بنَ مُعاذ الرازيَّ، وشاهَ بن شُجاع الكِرْماني، ومنه انتشر طريقةُ التصوفِ بنَيْسابورَ، كان مجاب الدعوة، وكان مجمع العباد والزهاد، ولم يزل يسمع ويجل العلماء ويعظمهم، توفي بنَيْسابورَ في ربيع الآخر سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين، وله ثمان وستون سنة. [انظر: سير أعلام النبلاء، (١٤/٦٢-٦٦)، وطبقات الصوفية، ص(١٤٠)].

(٣) النوري: هو أحمد بن محمد الخراساني البغوي الزاهد، شيخ الطائفة بالعراق، وأحذقهم بلطائف الحقائق، وله عبارات دقيقة، صحب السري السقطي وغيره، وكان الجنيد يعظمه. من أقواله: من رأيته يدعي مع الله حالة تخرج عن الشرع، فلا تقربن منه. وكان النوري إذا رأى منكرًا غيره، ولو كان فيه تلفه. توفي في سنة خمس وتسعين ومائتين، ولما مات النوري قال الجنيد: ذهب نصف العلم بموته. [انظر: سير أعلام النبلاء، (١٤/٧٠-٧٧)].

ورأى رُوَيْمًا[1] ثم رام طريقه ... وأبا الفوارس شاهًا الكرماني[2]

والمغربيّ[3] كذا ابن مسروقٍ[4] كذا الـ ... ـبُسريّ[5] قومٌ أفرس الفرسان

وأظنه لم يلتق الخراز[6] بل ... قيل التقى سمنون[7] في سمنان

---

(١) «رويم [. . . -٣٣٠هـ = . . . -٩٤١م] : رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم : صوفي شهير ، من جلة مشايخ بغداد . من كلامه : (الصبر ترك الشكوى ، والرضا استلذاذ البلوى)» [الأعلام ، (٣٧/٣)] .

(٢) شاه الكرماني : شاهُ بنُ شُجاعٍ ، أبو الفَوارس ، الزاهد ، أَصْلُه من «مَرْو» ، وكان من أولاد الملوك ، فتزهد وصحب أبا تُرابٍ النَّخْشَبِيَّ ، وأبا عُبَيْد البُسْري ، وكان من أَجِلّة الفِتْيان ، وعُلَماءِ هذه الطَّبقة . وله رسالاتٌ مشهورة ، والمُثَلّثة التي سَمَّاها «مِرآة الحكماء» ، مات قبل الثلاثمائة . [انظر : طبقات الصوفية ، ص(١٥٦) ، والوافي بالوفيات ، (١٨٨/٥)] .

(٣) «أبو عبد الله المَغْرِبيُّ ، واسمه محمد بن إسماعيلَ . كان أستاذَ إبراهِيمَ الخَوَّاصِ ، وإبراهيمَ بنِ شَيْبان . صَحِبَ عَلِيَّ بنَ رُزَيْن . وعاش - كما قيل - مائة وعشرين سنة ، ومات على جبل طُورِ سِيْناء . وقبرُه عليه ، مع قبرِ أستاذِه عليِّ بنِ رُزَيْن . مَات سنة تسعٍ وسبعين ومائتين ، وقيل : تسعٍ وتسعين ، وهذا أصح - إن شاء الله» [طبقات الصوفية ، ص(١٩٤)] .

(٤) «أبو العبَّاس بنُ مَسْروق ، واسمُه أحمدُ بنُ محمد بنِ مَسْروق ، من أهل طُوس . سكن بغدادَ ، ومات بها ، صحب الحَارثَ بنَ أَسَد المحاسِبيَّ ، والسَّرِيَّ بنَ المُغَلِّس السَّقَطِيَّ ، ومحمد بن منصور الطوسي ، ومحمد بن الحسَين البُرْجُلاني ، وهو من قُدَماء مشايخ القوم وجِلَّتهم . وتُوُفِّي ببغدادَ سنة تسعٍ وتسعين ومائتين» [السابق ، ص(٧٥)] .

(٥) أبو عبيد البسري الزاهد ، واسمه محمد بن حسان ، وبسرى فوق دمشق ، غزا الروم في بعض السنين ، وكان من جلة الصوفية ، ذُكرت له كرامات . [انظر : كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة : بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق : د . سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م ، (٤٥٢٢/١٠) ، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج : صفوة الصفوة ، تحقيق : محمود فاخوري - د . محمد رواس قلعه جي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، (٢٤١/٤-٢٤٣)] .

(٦) «أبو سعيدٍ الخَرَّازُ ، واسمُه أحمدُ بنُ عيسى . وهو من أهلِ بغدادَ . صحب ذا النُّون المِصريَّ ، وأبا عبد الله النَّباجِيَّ ، وأبا عُبَيْدٍ البُسْريَّ ، وصحب أيضًا سَرِيًّا السَّقَطِيَّ ، وبِشْرَ بن الحارث ، وغيرَهم ، وهو من أَئِمَّة القوم وجِلّة مشايخهم . وقيل : إنَّه أولُ من تكلَّم في علم الفناء والبقاء . ومات سنة تسعٍ وسبعين ومائتين» [طبقات الصوفية ، ص(١٨٣)] .

(٧) «سَمْنُون بن حَمْزة ، ويقال : سَمْنون بن عبد الله ، أبو الحسن الخَوَّاص ، ويقال : كُنيتُه أبو القاسم . سمَّى نفسه : سمنون الكذاب ؛ لكتمه عسر البول بلا تضرر ، صحب سَرِيًّا السَّقَطِيَّ ، ومحمد بن علي القَصَّابَ ، وأبا أحمد القَلانِسِي . وَسُوَس ، وكان يتكلم في المحبَّة بأحسن كلام ، وهو من كبار مشايخ العراق . مات بعد الجنيد» [السابق ، ص(٦٥)] .

وكذاك للجلاّء[1] لم ينظـر ولا ابـــ ـــن عطا[2] ولا الخوّاص[3] ثم بُنان[4]
وكذاك مُمشاذ[5] مـع الـدّقيّ[6] مـع خـيرٍ[7] وهـذا غالـب الحسـبان
وكـذاك أصـحاب الطريقـة بعـده ضـبطوا عقائـده بكـل عِنـان

---

(١) «أبو عبد الله بن الجلاَّء . واسمه : أحمدُ بن يحيى ، ويقال : محمدُ بن يحيى ، وأحمدُ أصحُّ ، كان أصله من بغدادَ . أقام بالرَّمْلَة ، ودِمَشْق . وكان من جِلّة مشايخ الشام ، صحب أباه ، يحيى الجلاَّءَ ، وأبا تُرابٍ النَّخْشَبيَّ ، وذا النُّون المصريَّ ، وأبا عُبَيْد البُسْريَّ ، وكان أستاذ محمدِ بنِ داود الدِّقِّي ، وكان عالما وَرِعًا . كان يقال : إن في الدنيا ثلاثةً من أئمة الصوفية ، لا رابع لهم : الجُنَيْد ببغدادَ ، وأبو عثمانَ بنَيْسابورَ ، وأبو عبد الله بن الجلاَّء بالشام» [السابق ، ص(٦٠-٦١) باختصار] .

(٢) «ابن عطاء الله الإسكندري [٠٠٠-٧٠٩ هـ = ٠٠٠-١٣٠٩م] : أحمد بن محمد بن عبد الكريم ، أبو الفضل تاج الدين ، ابن عطاء الله الإسكندري : متصوف شاذلي ، من العلماء ، له تصانيف منها : «الحكم العطائية» في التصوف ، و«تاج العروس» في الوصايا والعظات ، و«لطائف المنن في مناقب المرسي وأبي الحسن» ، توفي بالقاهرة ، وينسب إليه كتاب «مفتاح الفلاح» ، وليس من تأليفه» [الأعلام ، (١/٢٢١-٢٢٢) باختصار] .

(٣) «إبراهيم الخواص ، وهو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل ، كنيته أبو إسحاق ، وهو أحد من سلك طريق التوكل ، وكان أوحد المشايخ في وقته ، ومن أقران الجنيد ، والنوري ، وله في السياحات والرياضات مقامات يطول شرحها ، مات في جامع الري ، سنة إحدى وتسعين ومائتين ، إن صح ، وتولى أمره في غسله ودفنه يوسف بن الحسين» [طبقات الصوفية ، ص(٢٢٠)] .

(٤) «بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد ، وكنيته أبو الحسن . واسطي الأصل ، سكن مصر ، وأقام بها ، وبها مات ، في شهر رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة ، وهو من جلة المشايخ ، والقائلين بالحق ، والآمرين بالمعروف . له المقامات المشهورة ، والآيات المذكورة ، صحب أبا القاسم الجنيد بن محمد ، وغيره من مشايخ وقته . وكان أستاذ أبي الحسين النوري» [السابق ، ص(٨٧)].

(٥) «ممشاذ الدينوري ، وهو من كبار مشايخهم ، صحب يحيى الجلاء ، ومن فوقه من المشايخ . عظيم المرمى في هذه العلوم ، أحد فتيان الجبال ، كبير الحال ، ظاهر الفتوة ، ذكر أبو زرعة أنه مات سنة تسع وتسعين ومائتين ، إن كان حفظه» [السابق ، ص(٩٢)] .

(٦) «أبو بكر الدقي ، وهو أبو بكر ، محمد بن داود ، الدينوري . أقام بالشام ، وعُمِّر فوق مائة سنة . وكان من أقران أبي عليٍّ الروذباري ، إلا أنه عُمِّر ، صحب أبا عبد الله بن الجلاء ، وإليه كان ينتمي . وكان من أجل مشايخ وقته ، وأحسنهم حالاً ، وأقدمهم صحبة للمشايخ . وصحب أيضًا أبا بكر الزقاق الكبير ، وأبا بكر المصري . مات بعد الخمسين وثلاثمائة» [السابق ، ص(١٢٠)].

(٧) «خير النساج ، وكنيته أبو الحسن . كان أصله من سامرا ، وأقام ببغداد ، صحب أبا حمزة البغدادي ، وسأل السري السقطي عن مسائل . وكان إبراهيم الخواص تاب في مجلسه ، وكذلك الشبلي تاب في مجلسه . عُمِّر طويلاً ، وكان من أقران النوري وطبقته ، وكان اسمه محمد بن إسماعيل السامري . عاش مائة وعشرين سنة» [السابق ، ص(٩٤) باختصار] .

وتتلمذ الشِّبليّ[1] بين يديه وابـــــن خفيف والثقفيّ[2] والكتّاني[3]
وخلائقٌ كثروا فلا أحصيهمُ وربَوا على الياقوت والمرجان
الكلّ معتقدون أن إلهنا متوحدٌ فردٌ قديمٌ دان
حيٌّ عليمٌ قادرٌ متكلمٌ عالٍ ولا نعني علوّ مكان
باقٍ له سمعٌ وإبصارٌ يريـــد جميع ما يجري من الإنسان
والشرُّ من تقديره لكنّه عنه نهاك بواضح البرهان
قد أنزل القرآن وهْو كلامُه لفظتْ به للقارئ الشفتان
وإلهنا لا شيء يُشبهه وليـــس بمشبهٍ شيئًا من الحدثان
قد كان ما معه قديمًا قط من شيء ولم يبرح بلا أعوان
خلق الجهات مع الزمان مع المكا ن الكلّ مخلوقٌ على الإمكان
ما إن تحلّ به الحوادث لا ولا كلاّ وليس يُحلّ في الجسمان
كذب المجسم والحلولي الكفو ر فذان في البطلان مفتريان
والاتحاديّ الجهول ومن يقُل بالاتحاد فإنه نصراني
ونبيّنا خير الخلائق أحمدٌ ذو الجاه عند الله ذي السّلطان

---

(١) الشبلي [٢٤٧-٣٣٤هـ = ٨٦١-٩٤٦م] : هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي ، بغدادي المولد والنشأة ، وأصله من أسروشنة : مدينة تقع ما وراء النهر ، صحب الجنيد ، وكان شيخ وقته حالاً وظرفًا وعلمًا ، مالكي المذهب ، كان في مبدأ أمره واليًا في دنباوند (من نواحي رستاق الري) ، وولي الحجابة للموفق العباسي ، وكان أبوه حاجب الحجاب ، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة ، فاشتهر بالصلاح ، له شعر جيد ، سلك به مسالك المتصوفة . [انظر : طبقات الصوفية ، ص(٢٥٧) ، والأعلام ، (٢/٣٤١)].

(٢) «أبو عليّ الثقفيّ ، واسمه محمد بن عبد الوهاب . كان إمامًا في أكثر علوم الشرع ، مقدمًا في كل فن منه . عطل أكثر علومه ، واشتغل بعلم الصوفية ، وتكلم فيه أحسن كلام ، مات أبو علي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة» [طبقات الصوفية ، ص(٢٧٤) باختصار].

(٣) «أبو بكر الكتاني ، وهو محمد بن علي بن جعفر الكتاني ، ويقال : أبو عبد الله . وأبو بكر أصح . أصله من بغداد . صحب الجنيد ، وأبا سعيد الخراز ، وأبا الحسين النوري ، وأقام بمكة مجاوراً بها إلى أن مات . حُكي عن أبي محمد المرتعش أنه كان يقول : «الكتاني سراج الحرم» ، مات سنة اثنتين وثلاثمائة» [السابق ، ص(١٠٤) باختصار] .

وله الشفاعة والوسيلة والفضيـ ـلة واللواء وكوثر الظمآن
فاسأل إلهك بالنبيّ محمدٍ متوسلاً تظفر بكلّ أمان
لا خلق أفضل منه لا بشرٌ ولا ملك ولا كونٌ من الأكوان
ما العرش ما الكرسيّ ما هذي السما عند النبيّ المصطفى العدنان
والرسْلُ بعد محمدٍ درجاتهم ثمّ الملائك عابدو الرحمن
ثم الصحابة مثل ما قد رُتِّبوا فالأفضل الصديق ذو العرفان
ثم العزيز السيد الفاروق ثم م اذكر محاسن ذي التقى عثمان
وعليٌّ ابن العمّ والباقون أهـ ـلُ الفضل والمعروف والإحسان
والأولياء لهم كراماتٌ فلا تُنكر تقع في مهمهِ الخذلان
والمؤمنون يرون ربهمُ كرؤ يتهم لبدرٍ لاح نحو عيان
هذا اعتقاد مشايخ الإسلام وهْـ ـو الدين فلتسمع له الأذنان
الأشعري عليه ينصره ولا يسألو جزاه الله بالإحسان
وكذاك حالته مع النعمان لم ينقض عليه عقائد الإيمان
يا صاح إن عقيدة النعمان والـ أشعري حقيقة الإتقان
فكلاهما والله صاحب سنّةٍ بِهُدى نبي الله مقتديان
لا ذا يبدّع ذا ولا هذا وإن تحسب سواه وهْمت في الحسبان
من قال إن أبا حنيفة مبدعٌ رأيًا فذلك قائل الهذيان
أو ظنّ أن الأشعري مبدعٌ فلقد أساء وباء بالخسران
كلٌّ إمامٌ مقتدٍ ذو سنّةٍ كالسيف مسلولاً على الشيطان
والخُلْف بينهما قليلٌ أمره سهلٌ بلا بدع ولا كفران
فيما يقِلُّ من المسائل عدُّه ويهون عند تطاعن الأقران
ولقد يؤول خلافهما إمّا إلى لفظٍ كالاستثناء في الإيمان

الأشعري يقول : أنا مؤمن إن شاء الله .

وكمنعه أن السعيد يضلُّ أو يشقى ونعمة كافر خوّان

الأشعري يقول : السعيد من كتب في بطن أمه سعيدًا ، والشقي من كتب في بطن أمه شقيًا لا يتبدلان .

وأبو حنيفة يقول : قد يكون سعيدًا ، ثم ينقلب ـ والعياذ بالله ـ شقيًا ، وبالعكس .

وقد قرَّرنا هذه المسألة في كتابنا في شرح عقيدة الأستاذ أبي منصور ، وبيَّنا اختلاف السلف فيها كاختلاف الخلف ، وأن الخلاف لفظي لا يترتب عليه فائدة .

والأشعري يقول : ليس على الكافر نعمة ، وكل ما يتقلب فيه استدراج ، وأبو حنيفة يقول : عليه نعمة ووافقه من الأشاعرة القاضي أبو بكر بن الباقلاني ؛ فهو مع الحنفية في هذه ، كالماتريدي[1] منهم معنا في مسألة الاستثناء .

وكذا الرسالة بعد موت إن تكن ... صحّت وإلا أجمع الشيخان
وقد ادّعى ابنُ هوازنٍ أستاذنا ... فيها افتراءً من عدوٍّ شان
وهو الخبير الثبت نقلاً والإرا ... دة ليس يلزمها رضا الرحمن
فالكفر لا يرضى به لعباده ... ويريده أمران مفترقان
وأبو حنيفة قائلٌ إن الإرا ... دة والرضا أمران متّحدان
وعليه أكثرنا ولكن لا يصح ... وقيل مكذوبٌ على النعمان

* * *

(١) «الماتريدي [. .-٣٣٣هـ = . .-٩٤٤م] : محمد بن محمد بن محمود ، أبو منصور الماتريدي : من أئمة علماء الكلام ، نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند) ، من كتبه : (التوحيد) ، و(أوهام المعتزلة) ، و(الرد على القرامطة) ، و(مآخذ الشرائع) في أصول الفقه ، وكتاب (الجدل) و(تأويلات القرآن) ، و(تأويلات أهل السنة) ، و(شرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة) ، مات بسمرقند» [الأعلام ، (٧/١٩) باختصار] .

مسألة

* إنكار الرسالة بعد الموت معزوّة إلى الأشعري ، وهي من الكذب عليه ، وإنما ذكرناها وفاءً بما اشترطناه من أنّا ننظم كلّ ما عُزي إليه ، ولكنه صرّح بخلافها ، وكُتبه وكُتب أصحابه قد طبّقت طبق الأرض وليس فيها شيء من ذلك ، بل فيها خلافه .

ومن عقائدنا : أن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ أحياء في قبورهم ، فأين الموت؟ وقد أنكر الأستاذ ابن هوازن وهو أبو القاسم القشيري في كتابه « **شكاية أهل السنة** » الذي سنحكيه في هذه الترجمة بتمامه هذه ، وبيّن أنها مختلقة على الشيخ ، وكذلك بيّن ذلك غيره .

وصنّف البيهقي ـ رحمه الله ـ جزءًا سمعناه في حياة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ في قبورهم ، واشتد نكير الأشاعرة على من نسب هذا القول إلى الشيخ وقالوا : قد افترى عليه وبهته .

* وأما مسألة الرضا والإرادة فاعلم أن المنقول عن أبي حنيفة اتحادهما ، وعن الأشعري افتراقهما .

وقيل : إن أبا حنيفة لم يقل بالاتحاد فيهما ، بل ذلك مكذوب عليه ، فعلى هذا انقطع النزاع ، وإنما الكلام بتقدير صحة الاتحاد عنده ، وأكثر الأشاعرة على ما يُعزى إلى أبي حنيفة من الافتراق ، منهم إمام الحرمين وغيره آخرهم الشيخ محيي الدين النووي ـ رحمه الله ـ قال : هما شيء واحد ، ولكني أنا لا أختار ذلك ، والحق عندي أنهما مفترقان كما هو منصوص الشيخ أبي الحسن .

وكذاك إيمان المقلّد وهو مـ ... ـم ما أنكر ابنُ هوازن الرباني
ولو انّه مما يصحّ فخُلْفُهم ... فيه للفظ عاد دون معان

* ذكروا أن شيخنا يقول : إن إيمان المقلِّد لا يصح ، وأنكر ذلك الأستاذ أبو القاسم وقال : إنه مكذوب عليه ، وسنبحث عن ذلك في ذيل سياق كتاب «**شكاية أهل السنة**» ، والقول على تقدير الصحة .

وكذاك كسب الأشعري وإنه صعبٌ ولكن قام بالبرهان
من لم يقلْ بالكسب مال إلى اعتزا لٍ أو مقال الجبر ذي الطغيان

* كسب الأشعري ـ كما هو مقرر في مكانه ـ أمر يضطر إليه من ينكر خلق الأفعال ، وكون العبد مجبرًا ، والأول اعتزال ، والثاني جبر ، فكل أحد يثبت واسطة لكن يعسر التعبير عنها ، ويمثلونها بالفرق بين حركة المرتعش والمختار ، وقد اضطرب المحققون في تحرير هذه الواسطة ، والحنفية سمّوها : الاختيار .

والذي تحرر لنا أن الاختيار والكسب عبارتان عن مُعيّن واحد ، ولكنّ الأشعري آثر لفظ «الكسب» على لفظ «الاختيار» ؛ لكونه منطوق القرآن ، والقوم آثروا لفظ «الاختيار» لما فيه من إشعار قدرة للعبد .

وللقاضي أبي بكر مذهب يزيد على مذهب الأشعري فلعله رأي القوم .

ولإمام الحرمين والغزالي مذهب يزيد على المذهبين جميعًا ، ويدنو كلّ الدّنو من الاعتزال ، وليس هو هو .

ولسنا الآن لتحرير هذه المسألة العظيمة الخطب ، وقد قررناها على وجه مختصر في «شرح مختصر ابن الحاجب» ، وعلى وجه مبسوط فيما كتبناه من أصول الديانات .

أو للمعاني وهو ستّ مسائلٍ هانت مداركها بدون هوان
لله تعذيبُ المطيع ولو جرى ما كان من ظُلمٍ ولا عدوان
متصرّفٌ في مُلْكه فله الذي يختار لكن جاد بالإحسان
فنفى العقاب وقال سوف أُثيبهم فله بذاك عليهمُ فضلان
هذا مقال الأشعريّ إمامنا وسواه مأثورٌ عن النّعمان

ما قدمنا من المسائل ـ ومنه ما لم يصح كما عرفت ـ هو لفظي كله لا فائدة للخلاف فيه .

ومن هنا المسائل المعنوية وهي ست مسائل ، وقد عرفنا أن الشيخ الإمام كان يقول : إن «عقيدة الطحاوي» لم تشتمل إلا على ثلاث ، ولكنا نحن جمعنا الثلاث الأخر من كلام القوم :

أولها : أن الرب ـ تعالى ـ له عندنا أن يعذّب الطائعين ، ويثيب العاصين ، كلّ نعمة منه فضل ، وكلّ نقمة منه عدل ، لا حجر عليه في ملكه ، ولا داعيَ له إلى فعله .

وعندهم : يجب تعذيب العاصي وإثابة المطيع ، ويمتنع العكس .

ووجوب معرفة الإله الأشعري م يقول ذاك بشرعة الديان
والعقل ليس بحاكمٍ لكن له الـ إدراك لا حكمٌ على الحيوان
وقضَوا بأن العقل يوجبها وفي كتب الفروع لصحبنا وجهان
وبأنّ أوصاف الفعال قديمةٌ ليست بحادثة على الحدثان
وبأنّ مكتوب المصاحف مُنْزلٌ عينُ الكلام المنزل القرآن
والبعض أنكر ذا فإن يصدُق فقد ذهبت من التّعداد مسألتان
هذي ومسألة الإرادة قبلها أمران فيما قيل مكذوبان
وكما انتفى هذان عنهم هكذا عنا انتفى مما يقال اثنان
قالوا وليس بجائزٍ تكليف ما لا يُستطاع فتىً من الفتيان
وعليه من أصحابنا شيخُ العرا ق وحُجة الإسلام ذو الإتقان
ورواه مجتهد الزمان محمد بـ ـن دقيق عيد واضح السُّبلان

* منعوا تكليف ما لا يطاق ، ووافقهم من أصحابنا الشيخ أبو حامد الإسفرايني شيخ العراقيين ، وحجة الإسلام الغزالي ، وشيخ الإسلام تقي الدين محمد بن علي ابن دقيق العيد القوصي ـ رحمهم الله تعالى أجمعين .

قالوا وتمتنع الصغائر من نبيٍّ م للإله وعندنا قولان
لمنع مرويٌّ عن الأستاذ والـ ـقاضي عياضٍ وهو ذو رُجحان

وبه أقـول وكـان مـذهبَ والـدي ... دفعًـا لرتبتـهم عـن النّقصـان
والأشـعري إمامنـا لكنّنـا ... في ذا نخالفـه بكـل لسـان
ونقول نحـن علـى طريقتـه ولـ ... ـكنْ صـحبه في ذاك طائفتـان
بـل قـال بعـض الأشـعرية إنهـم ... بـرآء معصـومون مـن نسـيان
والكـل معـدودون مـن أتباعـه ... لا يخرجـون بـذا عـن الإذعـان
وأبـو حنيفـة هكـذا مـع شـيخنا ... لا شـيء بينـهما مـن النكـران
متناصـران وذا اخـتلافٌ هـينٌ ... عـارٍ عـن التبـديع والخـذلان
هذا الإمـام وقبلـه القاضـي يقـو ... لان البقـا لحقيقـة الـرحمن
وهمـا كـبيرا الأشـعرية وهـو قـا ... ل بزائـدٍ في الـذات للإمكـان
والشـيخ والأسـتاذ متفقـان في ... عقـدٍ وفي أشـياء مختلفـان
وكذا ابن فُورك الشهيد وحجة الـ ... ـإسلام خصـما الإفـك والبـهتان
وابـن الخطيـب وقولـه إن الوجـو ... د يزيـد وهـو الأشـعري الثـاني
والاختلاف في الاسم هل هو والمسمّـ ... ـم واحـدٌ لا اثنـان أو غـيران
والأشـعرية بينـهم خُلـفٌ إذا ... عُـدّت مسـائله علـى الإنسـان
بلغـت مـئين وكلّهـم ذو سُـنّةٍ ... أخذت عن المبعـوث مـن عـدنان
وغدًا ينادى كلّنـا مـن جملـة الـ ... ـأتبـاع للأسـلاف بالإحسـان
والأشـعري إمامنـا والسُـنّة الـ ... ـغراء سُـنّتنا مـدى الأزمـان
وكذاك أهلُ الرأي مع أهـل الحديـ ... ـث في الاعتقـاد الحـق متفقـان
مـا إن يكفّـر بعضـهم بعضًـا ولا ... أزرى عليـه وسـامه بهـوان
إلا الـذين تمعزلـوا منـهم فهـمْ ... فيـه تنحّـت عنـهمُ الفئتـان
هـذا الصـواب فـلا تظـنّنْ غـيره ... واعقِـد عليـه بخنصـرٍ وبنـان
ورأيـتُ ممـن قالـه حـبرٌ لـه ... نبـأٌ عظـيمٌ سـار في البلـدان

أعني أبـا منصـورٍ الأسـتاذ عبـ ـد القـاهر المشـهور في الأكـوان
هـذا صـراط الله فاتبعـه تجـدْ في القلـب بـرْدَ حـلاوة الإيمـان
وتراه يوم الحشـر أبـيض واضـحًا يُهـدي إليـك رسـائل الغفـران
وعليـه كـان السـابقون عليـهمُ حُلـل الثنـاء وملـبس الرِّضـوان
والشـافعي ومالـكٌ وأبـو حنيـ ـفة وابن حنبـلٍ الكـبير الشـان
درجـوا عليـه وخلّفونـا إثـرهم إن نتّـبعهم نجتمـعْ بجِنـان
أو نبتدعْ فلسوف نصلى النـار مَـذْ مُـومين مـدحورين بالعصـيان
والكفـر منفـيٌ فلسـتُ مكفّـرًا ذا بدعـةٍ شـنعاء في الـنّيران
بل كلُّ أهـل القبلـة الإيمـان يجْـ ـمعهم ويفترقـون كالوحـدان
فأجارنـا الـرحمن بالهـادي الـنبي م محمـدٍ مـن نـاره بأمـان
صلّى عليه الله مـا وضـح الضُّـحى وبدا بـديجور الـدّجى النَّسـران[1]
والآل والصَّحب الكرام ومنهمُ الصـّ م ـديق والفـاروق مـع عثمـان
وعليٌ ابـن العـمِّ والبـاقون إنـّ م ـهمُ النّجـوم لمقتـدٍ حـيران

* * *

(١) «النَّسْران : كوكبان في السماء معروفان على التشبيه بالنَّسْر الطائر ، يقال لكل واحد منهما نَسْر أو النَّسْر ، ويَصِفونهما فيقولون : النَّسْر الواقع والنَّسْر الطائر» [لسان العرب ، مادة (نسر)] .

المصادر والمراجع

- أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، تحقيق : د . الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .
- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : حياة الأنبياء في قبورهم .
- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : دلائل النبوة .
- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : السنن الكبرى .
- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : شعب الإيمان .
- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : القضاء والقدر .
- أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري : الأخبار الطوال .
- أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي : السنن الكبرى .
- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥هـ .
- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني : معرفة الصحابة .
- أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي : المسند .
- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي : الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الجيل ، بيروت ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق : دكتور محمد عبد المعيد خان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م .
- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .
- أحمد بن محمد بن حنبل : المسند .
- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري : مجمع الأمثال ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت .
- إسماعيل باشا : هداية العارفين .
- الحسن بن مسعود بن محمد ، أبو علي ، نور الدين اليوسي : زهر الأكم في الأمثال والحكم .
- الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين .
- خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي ، صلاح الدين : الوافي بالوفيات .
- خير الدين الزركلي : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، أيار (مايو) ١٩٨٠م .
- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني : مسند الشاميين .
- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني : المعجم الكبير .
- سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي : سنن أبي داود .
- سليمان بن داود بن الجارود مولى قريش ، أبو داود الطيالسي : المسند .

- صديق بن حسن القنوجي : أبجد العلوم ، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨م .
- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل : طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .
- عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج : صفوة الصفوة ، تحقيق : محمود فاخوري ـ د . محمد رواس قلعه جي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .
- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشي : الموضوعات ، ضبط وتقديم وتحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان .
- عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق ، ابن منده العبدي الأصبهاني ، أبو القاسم : الإيمان .
- عبد الله بن محمد بن أبي شيبة : المصنف .
- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري : السيرة النبوية .
- أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : مصطفى عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .
- أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : دكتور عبد الفتاح محمد الحلو ـ د . محمود محمد الطناحي ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الجيزة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢م .
- علي بن أبي بكر الهيثمي : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي ، القاهرة، بيروت ، ١٤٠٧هـ .
- علي بن إسماعيل (ابن سيده) : المحكم والمحيط الأعظم .
- أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، قدم له وعلق عليه : محمد زاهد الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٠م .
- علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا : الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .
- كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة : بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق : د . سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م .
- عمر كحالة : معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى ، بيروت .
- مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، الطبعة الثالثة ، د . ت .
- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي : مختار الصحاح ، تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .
- محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله : سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة التاسعة ، ١٤١٣هـ .
- محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي : العبر في خبر من غبر ، تحقيق : د . صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٨م .

- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي : الجامع الصحيح (صحيح البخاري) .
- محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي : الثقات ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .
- أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي : طبقات الصوفية ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .
- محمد بن عبد الرحمن بن محمد السَّخاوي : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، دار الكتاب العربي .
- محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين .
- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس .
- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى .
- محمد ناصر الدين الألباني : السلسلة الصحيحة .
- محمد ناصر الدين الألباني : السلسلة الضعيفة والموضوعة .
- محمد ناصر الدين الألباني : صحيح الجامع الصغير
- محمد ناصر الدين الألباني : صحيح سنن أبي داود .
- محمد ناصر الدين الألباني : صحيح سنن النسائي .
- محمد ناصر الدين الألباني : مشكاة المصابيح .
- محمود بن عمر الزمخشري : أساس البلاغة .
- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري : المستقصى في أمثال العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م .
- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري : صحيح مسلم .
- المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر الضبي : الأمثال .
- ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله : معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت .
- يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي : تهذيب الكمال ، تحقيق : د . بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .
- يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب .

الإسطوانات المدمجة

المكتبة الألفية .
مكتبة التاريخ والحضارة .
المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني والثالث .
الموسوعة الشعرية

* * *

obeikandl.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
الرسالة الأولى : شكاية أهل السُّنة بحكاية ما نالهم من المحنة.....	٧
الشبهة الأولى	١٥
الشبهة الثانية.....	٢٢
الشبهة الثالثة.....	٢٦
الشبهة الرابعة.....	٢٧
الشبهة الخامسة.....	٢٩
الشبهة السادسة.....	٣١
الرسالة الثانية : رسالة الحافظ البيهقي إلى العميد.....	٣٣
الرسالة الثالثة : زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري.....	٤٣
الرسالة الرابعة : تقريظ رسالة زجر المفتري.....	٥٩
فصل.....	٦٢
الرسالة الخامسة : نونية تاج الدين السبكي في العقيدة.....	٦٧
مسألة.....	٨٠
المصادر والمراجع	٨٥
فهرس الموضوعات.....	٨٨

* * *

obeikandl.com